الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي عابدين — القاهرة — التليفون رقم : ٤٢٠٩٩٦ / ٥٢٧٩٠

العدد ٢٧٥ — الثلاثاء ١١ من ربيع الثاني سنة ١٣٦٣ — ٤ من أبريل سنة ١٩٤٤ — السنة السادسة

فهرس العدد

البترول الذاهب

للدكتور أحمد زكي بك

ما أسرع ما ينسى الإنسان ، وما أكثر ما تعين العادة على النسيان .

إن نعمة الله الكبرى ، نعمة الهواء ، ينساها المرء بما اعتادها ، فلا يذكرها إلا إذا هو شَرِق ، أو إذا أصابه داء فاختنق .

ونعمة الله الأخرى ، نعمة الماء ، لا يذكرها ذاكر ما دام على البحر الطامي ، أو تحت القطر الهامي . وإنما يذكرها من الناس رجل ضلّ في صحراء ، فعندئذ يتكشف له لأول مرة معنى الماء ، حين يصيبه الجفاف في جسمه وفي حلقه وفي لسانه ، فعندها يتلمسه من أنداء الصباح ، يلعقه على الحجر ، ومن فوق الصخور ، قطرات لا تكاد تبل لساناً أو ترطّب حلقا .

ولكن الهواء والماء ، وتربة هذه الأرض ، وشماعة هذه الشمس من نعم الله البسيطة الأولى . وأنعم مُقدرجات . وهي نعم أربع ، لا تكون الحياة إلا بها . من أجل هذا جعلها الله لا تنفد إلا أن يبدل بهذه السنن القائمة سُنناً أخرى .

[illegible] يجدد . فالهواء يذهب به الحريق ، ويذهب به تنفس الإنسان والحيوان ، وتنفس النبات ، ولكن لا يلبث أن يجود به الخضراء الزروع في وقدة الشمس . والماء قد يذهب به ريّ الناس والحيوان ، واستقاء الزروع ، ولكن تعود به سحب تزجيها الرياح .

وهذه النِّعَم الأربع تكفي لا شك للعيش ، ولكنه عيش لا طراوة فيه ، ولا سرعة . فهو عيش بطيء ساذج كعيش آبائنا الأولين ، عيش إبراهيم وموسى .

وهذا العيش الحاضر ، هذه المدنية الحاضرة ، لم تقم على هذه النعم الأربع وحدها ، نعمة الهواء والماء والتربة والضياء . وإنما قامت على نِعَم ثلاث أخرى ، ليست في هذا الرُّخص ولا هذه البساطة ، ولا في هذه السهولة وهذا التيسّر . تلك نعمة الحديد والفحم والبترول . فهذه أسس المدنية الحاضرة . والمدنيات صنوف وأنواع . وهي أسسها كما هي كائنة ، وكما تُرجى . وهي ليست بالنِّعم التي لا تفنى . وهي ليست من النِّعَم التي إذا فنيت بُعثت من

الكثرة ، ومن التحصيل السهل ، بحيث نسي الناس أنها كأكثر الأشياء للفناء . ولقد دخلت هذه النعم في حياة الناس ، وفي عادة الناس ، حتى لم يدُر بخلدهم أنه قد يكون يومٌ تنقطع هذه النعم فيه . فلما انطلق الصوت من أمريكا في هذه الأيام ينذر بفناء زيت البترول ، لم يفهم رجل الشارع معنى لما يقولون . وصار الناس ، من غير الخبيرين ، بين مصدق ومكذب . وقال بعضهم إنها حيل الساسة . وقال بعضهم إنها حيل التجار ، والواقع الحق أنها أسلوب الطبيعة في العبث بالأفهام .

فالطبيعة تدع الجسم الحيّ ينمو وينبسط ويقوى ، حتى إذا استتم نماءً ، واستتم بسطة ، واستتم قوة ، جاءه الفناء من حيث يدري ولا يدري . وكذلك هي تفعل بالمدنيات ، وبهذه المدنية الحاضرة . فهي قد مهدت لها سبيل الوجود ، ثم سبيل البسطة ، فسبيل القوة ، ولكنه وجود موقوت ، وبسطة موقوتة ، وقوة موقوتة ، لأن بناء كل هذا على موقوت [illegible] والفحم والبترول .

وهم إخوة ثلاثة ولدتهم الطبيعة [illegible] أولاً . وطال بها العقم ، حتى إذا بلغ منها اليأس أو كاد ، أنجبت الفحم . ومضى الزمان فإذا بالفحم يخور ، وتتراءى آخرته على البعد ، فأنجبت الأمُّ ولدها الثالث : البترولَ . وقال الناس إن في هذا الولد الثالث لعوضاً للطبيعة عن ولدها الثاني إذا ما ذهب . وتربص الناس بهذا الولد الثاني أن يذهب . فإذا بالثالث هو الذي تظهر عليه أعراض المرض وينذر بالفناء . ولكن ، أيهما كان الذاهب أولاً ، فلا بد للسابق من لاحق ، والموت حق على الثلاثة أجمعين .

لو ذهب البترول ، كيف يكون حال الدنيا ؟

يكون حالها ما كان عام ١٨٥٩ . فسلوا الآباء ، وسلوا الأجداد ، وسلوا التاريخ كيف كان الحال عند هذا العام ، حتى وفيما تلاه من أعوام حتى ختام القرن الماضي .

ففي هذا العام ، عام ١٨٥٩ ، خرق أدريك Drake الأرض أولَ خرقٍ ليبحث عن الزيت . كان هذا بمدينة تيتوسفيل Titusville ، بمقاطعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة . وكان عمق الخرق الذي خرقه سبعين قدماً أو نحوها . ومن بعد ذلك العام زادت هذه الخروق عدداً ، وزادت عمقاً . أما العمق فقد زاد من سبعين قدماً إلى عشرة آلاف قدم . أما العدد فقد بلغ في الولايات المتحدة وحدها عام ١٩٣٥ مبلغاً هائلاً : ٣٤٠٠٠٠ بئر كلها تعمل وتنتج .

وقد بلغ ما أنتجته الولايات المتحدة من زيت البترول عام ١٩٣٥ — ٩٩٠ مليون رميل . والرميل يحتوي عشر صفائح من صفائح الجاز العادية . وبلغ إنتاجها عام ١٩٣٦ — ١٠٨٩ مليون رميل . وفي هذا العام تبعتها في الإنتاج روسيا ، فقد بلغ إنتاجها ١٩٣ مليون رميل ، أي ما بين الخمس والسدس مما أنتجته الولايات . ثم فنزويلا ، فقد بلغ إنتاجها ١٥٣ مليون رميل . أما رومانيا فكان إنتاجها ٦٦ مليون رميل . وتتبعها إيران بـ ٦٢ مليون رميل . وبذكر إيران نذكر الأمم الشرقية الأخرى : العراق والبحرين . أما العراق فقد كان إنتاجه [illegible] أي ثلث إيران . وأما جزيرة البحرين فـ ٣٫٦ مليون أي نحو ⅛ العراق . أما ألمانيا فأنتجت ٣٫٣ مليون رميل . وبذكر ألمانيا نذكر اليابان ، وقد أنتجت ٢٫٤ مليون رميل . والعالم كله أنتج في ذلك العام ١٧٨٠ مليون رميل .

وقد بلغ إنتاج الولايات المتحدة ثلثي ما أنتجه العالم من الزيت . وهاك جدولاً بما أنتجت كل أمة منسوباً إلى ١٠٠ :

الولايات المتحدة	٦١٫١ ٪
روسيا	١٠٫٩ ٪
فنزويلا	٨٫٦ ٪
رومانيا	٣٫٧ ٪
العراق	٣٫٥ ٪
الهند الشرقية	٢٫٩ ٪
المكسيك	٢٫٣ ٪

العراق	١ر٧ ٪
. . . . . .	. . . .
بولندا	٠ر٣ ٪
كندا	٠ر٠٨ ٪
مصر	٠ر٠٧ ٪

ومصر تجيء في الذيل ، وليست بآخر الذيل ، فإنتاجها في ذلك العام بلغ ١٥٥٥٠٠٠ برميل .

والفرض المعقول أن ما ينتج من البترول إنما ينتج للاستهلاك ، وبقدر الاستهلاك . وقد جاءت الحرب بالألوف من الطائرات ، والألوف من الدبابات ، والألوف من السيارات ، مصفحةً وغيرَ مصفحة . وفيما وراء خطوط القتال جاءت الحرب بالعدد العديد من المكنات . وكل هذا يأكل الزيت أكلا . وكلما زيد آكلو الزيت إنتاجا ، ويزيدها استغراقا . والزيت إنْ كان سلاح الحرب ، فهو بعد الحرب سلاح السلم الأقوى .

من أجل هذا أخذت كل أمة تضع يدها في حرابها تتحسس ما بقي ويبقى لها من تلك الثروة التي هي الجهد في حربها وسلمها . ومن أجل هذا جميعا أخذت تدوي تحذر عاقبة النفاد . وجاءت الصيحة الأولى من أمريكا . ولا عجب . فهي المنتج الأول للبترول ، وهي المستهلك الأول له . وصناعتها ومدنيتها واقتصادها أكثر استنادا على البترول من سواها من الأمم . وأرفقت صيحتها بخطوة عملية خطتها في سبيل السيطرة على منابع أخرى خارج حدودها لتعوض على نفسها شيئا من الهبوط في آبارها . وخطت هذه الخطوة ، على غير المألوف ، حكومتها . أم أنّ الحكومة الإنجليزية في مثل هذا في إيران سبقتها ؟ ! وعلى كل حال فقد طلعت حكومة الولايات على العالم بأنها تنوي استغلال الشاطىء العربي للخليج الفارسي ، بما في ذلك الحسا وجزيرة البحرين والسواحل العربية السعودية ، وتنوي مدّ أنابيب البترول من شاطىء الخليج الفارسي إلى شاطىء البحر الأبيض ، وتتولى هي إقامتها ونفقتها . وحجتها في ذلك تقلص رصيد الزيت في آباره في الولايات .

والذي يعنينا من هذه المسألة كم رصيد الولايات ، وكم رصيد الأمم . وهل حقا هذا الزيت ، مقوِّمُ المدنية الحاضرة ومُزْجيها ، إلى نفاد ؟

إن الولايات المتحدة أنتجت ، فاستهلكت ، في عام ١٩٠٠ نحو ٦٣ مليون برميل . وفي عام ١٩١٠ نحو ٢٠٩ مليون برميل . وفي عام ١٩٢٠ نحو ٤٧٣ مليون برميل . وفي عام ١٩٣٠ نحو ٨٩٨ مليون برميل . أما في عام ١٩٤٠ فقد أنتجت واستهلكت ، أو استهلك معها العالم ، نحوا من ١٣٤٥ مليون برميل . ولا شك أن هذا الرقم زاد باشتداد الحرب القائمة .

فإذا أنت علمت أن مستهلك الولايات في عام ١٩٤٠ هو ١٣٤٥ مليون من البراميل ، وعلمت أن مقدار ما حسبوا من رصيدها في الأرض في ذلك العام نحو ١٨٤٨٣ مليون برميل . أدركت بعملية قسمة بسيطة أن هذا الرصيد لن يكون أكثر من ثلاثة عشر عاما أو نحوها .

والذي يقال في الولايات المتحدة يقال في كل أمة أخرى .

فهذا هو جانب الصورة الأسود .

وللصورة جانب آخر أقل سوادا . فالزيت الذي يخرج من الآبار ليس كل ما في الآبار . فالذي يخرج منها يقدر بخمس ما فيها ، والباقي يبقى في رمال تلك الآبار ، فلا يكون سبيل إلا انتزاعه منها بالطرق المعروفة الحاضرة . فالعالم منذ اكتشف البترول إلى الآن حصّل من هذه الآبار ٢٥٠٠٠ر٠٠٠ مليون برميل ، ولا تزال يتخلف في رمال هذه الآبار ١٠٠٠٠٠ مليون برميل . فهذا القدار الهائل ينتظر ابتداع طرق جديدة ليفسح للإنسان في بقاء المدنية أملا جديداً .

وعدا هذا ، ففي الولايات المتحدة مليونان من الأفدنة يُستحقَل البترول فيها . وأهل الفن يقدّرون احتمال وجود البترول في ١١٠٠ مليون فدان أخرى . ومعنى هذا أن البترول يحتمل وجوده في مساحة أكثر قليلا من نصف أرض الولايات .

ولعل ما يقال عن الولايات ستجيز البحوث المستقبلة قوله ، عن سائر الأمم التي بها منابع البترول .

أحمد زكي

ضغط الدم : بعض الحقائق عنه

هل ضغط الدم مرض ؟

لا . ليس بمرض وإنما هو مقياس كقياس ضغط إطارات سيارتك ، وكمعرفة وزنك أو عدد مرات تنفسك في الدقيقة ، وهو ليس إلا وسيلة لمعرفة مبلغ متانة جدر الأوعية الدموية وقوة ضربات القلب وأمور أخر صغيرة . ولكل منا ضغط دم ولكنه يرتفع لدى البعض وينخفض لدى آخرين .

هل ينزل ضغط الدم إذا كبرنا ؟

المعتاد عكس ذلك تماما ؛ فهو يزيد كلما زاد عمرنا . فالمرء يولد وضغط الدم لديه منخفض ثم يتدرج في الارتفاع كلما ازداد سنه ، وهو يرتفع في النهار وقت الظهيرة ، ويعلو أكثر من ذلك في المساء . وهو يكون إذا وقفنا أو جلسنا أعلى منه إذا رقدنا ، وهو أدنى ما يكون ونحن نيام — إلا إذا طرقنا حلم مزعج فمن شأن ذلك أن يرفعه دون أن يوقظنا .

هل ضغط الدم للشخص السليم يساوي عمره زائدا مائة ؟

قد يكون ذلك ، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ؛ فهناك اعتبارات تجعل الضغط العادي للمرء يختلف عن ذلك بعض الاختلاف ؛ فالرجل الوفير العضلات يكون ضغطه في العادة أعلى من ذلك ، والرجل الوفير الجلد يكون ضغطه العادي أقل من ذلك ؛ ولكل إنسان ضغطا دم يؤخذ أحدهما حين يضرب القلب بأقصى قوته ، وهذا يقرب من عمر الإنسان مضافا إليه مائة ، أي يكون ١٤٠ لمن عمره ٤٠ سنة ، ويصح أن يقع في مدى بين ١٣٠ و ١٥٠ ويعتبر عاديا . أما الآخر فيؤخذ حين يسترخي المرء ويستريح القلب ، ويكون في العادة أدنى من ذلك بكثير . والمألوف أن يقال للمرء أعلى قراءة لضغط دمه ، ولكن الطبيب يستفيد من القراءتين ويرتب عليهما تقديره .

هل التنفس يؤثر في ضغط الدم ؟

نعم . إذا حبس النفس ارتفع ضغط الدم كثيرا إلى أمد .

هل ضغط الدم ظرف حديث ولدته الحياة الحديثة ؟

لا . فقد كان ضغط الدم مع الناس منذ خلقوا ولكنه لم يعرف قبل سنة ١٧٣٢ . وقد يكون من شأن ظروف الحياة الحديثة أن يزيد في ضغط الدم ، ولكن ليس معنى ذلك أنه الآن أسوأ مما كان عليه منذ خمسين سنة ومائة سنة .

هل يشكو النساء من ضغط الدم أكثر من الرجال ؟

لا . بل المعتاد أن يكون الرجال أكثر تعرضا لضغط دم غير عادي من النساء ؛ فأكثر الرجال إذا جاوزوا الستين يصابون بتصلب الشرايين وهذا يرفع ضغط الدم ، وقل أن تصاب النساء بذلك . ولعل ذلك سر من أسرار تعمير النساء أكثر من الرجال — وما يدرينا ! لعل النساء هم عامل من عوامل ارتفاع ضغط الدم لدى الرجال !

هل ارتفاع ضغط الدم يورث ؟

أراني مضطرا للتحفظ في الإجابة عن ذلك وإن كان يبدو أن ضغط الدم المرتفع ينتقل في بعض الأسر .

هل الغذاء بالأرز يخفض ضغط الدم كما هو الحال لدى أهل الصين ؟

كثير من الأمم الشرقية التي تعيش على الأرز تمتاز بانخفاض ضغط الدم ، ولكن ذلك لا يرجع لنوع الغذاء ، وإنما يرجع لفلسفتهم في الحياة التي تجعلهم يهونون من أمورها ويتقبلون بهدوء نعماءها وبأساءها .

هل أكل اللحوم يؤثر في ارتفاع ضغط الدم ؟

يتوقف ذلك على حال الكليتين ؛ فإن كانتا سليمتين فلا يضير المرء أكل اللحوم ولا شأن لذلك بارتفاع ضغط الدم . أما إذا كان فيهما اضطراب فإن الامتناع عن اللحم بعض النظام الغذائي الذي يساعد على تحسين أحوال الكليتين .

هل التفكير يحدث تغييرا في ضغط الدم ؟

نعم . كل مجهود فكري يؤثر بعض التأثير في ضغط الدم ، ولكن التأثير الأكبر لا يجيء من التفكير ، ولكن

تركيا الحديثة

« خرجت الامبراطورية العثمانية من الحرب العظمى أمة مهزومة ، منهوكة القوى ، مضعضعة الموارد ، مقطعة الأوصال ؛ فقدت ولاياتها غير التركية واحتلت جيوش الدول المتحالفة عاصمة بلادها وزحفت الجيوش اليونانية إلى الأناضول لتتم القضاء على ما بقي من كيانها . في تلك الساعة الرهيبة الحرجة قام كمال أتاتورك بحركته الجريئة التي أوقفت الزحف وغيرت مجرى التاريخ ونفخ في قومه روحا استثار الكامن من عزائمهم وهممهم وبعث روح المقاومة فيهم فأرغم الجيوش المغيرة على الجلاء وطهر أرض الوطن من القوى الأجنبية وكفل لبلاده استقلالا تاما اعترفت به الدول وجعل من هذه الأمة المهزومة أمة عزيزة يخشى بأسها ويخطب ودها . ولم تقف جهوده وجهود أنصاره من بعده عند ذلك بل كان نجاحهم في وقت السلم أبهر وأروع ، فقد خلق من تركيا الفقيرة المفككة أمة موحدة الهدف متماسكة الصفوف حسنة الإنتاج تكاد تستغنى بمواردها الخاصة عن سواها .

وقضى على ما بقي من ظل النفوذ الأجنبي في شئون الاقتصاد وخطا خطوات واسعة في إصلاح الأحوال الصحية ونشر التعليم وترقيته ، وسيرهو ومن بعده خلفه سياستها الخارجية بحكمة ومهارة فارتفع شأنها وكسبت صداقة الدول من كل الجوانب » .

***

لا يعرف الجمهور المصرى من تركيا الحديثة إلا القليل . وقد يكون هذا القليل الذى عرفه مما صرفه من تتبع أحوالها وتعرف ما صارت إليه أمورها في السنوات العشرين الأخيرة ، وهي الفترة التي مضت منذ تم لها الفوز في حرب الاستقلال الذى طردت به المغير على بلادها وطهرت أرض الوطن من الجيوش الأجنبية التي كانت تحتل عاصمتها .

جل ما نعلمه أن كمال أتاتورك طرد الخليفة ومحا الخلافة وأنه قضى على رجال الدين ونفوذهم وأنه حل الأوقاف المرصودة على التكايا وبعض المؤسسات الدينية وضمها لأملاك الدولة . وألبس الشعب القبعات الأوربية وجعل اللغة التركية تكتب بالحروف اللاتينية ونص في الدستور على أن حكومته لا دينية ، وترك الأفراد أحرارا في أمور دينهم معتبرا أن الدين علاقة خاصة بين العبد وربه ، واستحدث قوانين جديدة تجرى عليها الأحكام بين الناس مستقاة من التشريع الأجنبي . وبدت في كل تصرفاته نزعة قوية بارزة نحو صبغ بلاده بالصبغة الغربية وقطع كل خيط يربطها بالحياة الشرقية .

وهذا الذى عرفناه عنه ، كان تغييرا تنفر منه طباعنا ولا يتفق مع نظرتنا للحياة ، فكان من أثره أن باعد بيننا وبين الاهتمام بشئون تلك البلاد . ولم يحن الوقت بعد للحكم الهادئ على هذا التغيير وبواعثه وتبين مدى أثره في عقائد الشعب وعقليته . على أنه إذا كان هذا الجانب من جوانب الانقلاب التركى الحديث مما لا يرضينا فقد يكون ثمة جوانب أخرى منه تظفر بإعجابنا وقد تكشف لنا عن حقيقة تلك النهضة والأسس التي تقوم عليها ، وتميط اللثام عن روح القائمين بها . وأعنى بتلك الجوانب النواحي الاقتصادية والثقافية وهي معايير أدل على النهضة من التغييرات الاجتماعية الشكلية التي قد لا تعدو أن تكون رد فعل متطرف لرجعية متأصلة وجمود مزمن بغيض .

فماذا أحدثت الجمهورية التركية الحديثة في هاتين الناحيتين ، وعلى أية سياسة سارت في أمور الاقتصاد والصحة والتعليم ؟

ورثت الجمهورية التركية من الإمبراطورية العثمانية الذاهبة بلاد الأناضول ، ورقعة صغيرة بقيت من

من الوجدان ، كالهم والخوف وسرعة التهيج . وأكثر أنواع التفكير ملازمة لضغط الدم هو الأفكار الهادئة الرقيقة السالمة ، وأن شئت فقل الأفكار البليدة .

هل يرتفع ضغط الدم في فصل الشتاء ؟

نعم . وهي حالة طبيعية لا خوف منها ، وكذلك يرتفع الضغط عقب الحمام البارد وإذا تعرض المرء لتيار هواء .

هل يؤدى ارتفاع ضغط الدم الى الخمر ؟

كلا . بل الصواب عكس ذلك فالإفراط في الشراب يرفع ضغط الدم ، وكذلك الإفراط في شرب القهوة والدخان .

امبراطوريتها الأوربية ، فقنعت بهذا الحيز المحدود ، وقصرت طرفها عن التطلع للامتداد فيما وراءه ، واتجهت بكل قواها للاكتفاء به وبموارده ، ولاستغلالها لأقصى حد مستطاع .

وورثت عن الإمبراطورية العثمانية كذلك دروساً عظيمة النفع ، تعلمتها مما بذلت خلال العصور من مهج وأرواح وأموال ، وأعز تلك الدروس وأغلاها قيمة أن أخطر عوامل الانحلال في الأمة ، هو وجود النفوذ الأجنبي ، وأن مداخل هذا النفوذ هو الشئون الاقتصادية ، وأن فقر الشعب وجهله يجعلان منه فريسة سهلة للنفوذ الأجنبي ، وتربة خصبة لنشاطه الاقتصادي .

لهذا كان هدفها الذي تسعى إليه واضحاً محدوداً ، وغاياتها التي ترمي إلى تحقيقها جلية بينة تتلخص فيما يلي :

أولا — استغلال موارد البلاد أفضل استغلال حتى تكفي نفسها بنفسها ضرورات الحياة ، وحتى تكفل لأبنائها مستوى لائقاً من المعيشة .

ثانياً — تشجيع الإنتاج فيما زاد عن حاجة البلاد ، والعمل على ترجيح الميزان الاقتصادي للبلاد بحيث تكون صادراتها أكثر من وارداتها .

ثالثا — القضاء نهائياً على كل نفوذ أجنبي مباشر أو غير مباشر ، بحيث لا تبقى أية مؤسسة اقتصادية أجنبية بالبلاد .

رابعا — اتخاذ كل الوسائل لتعليم الشعب ، وتبصيره بشئون بلاده . وبالضرورة لابد من العناية بالصحة باعتبار ذلك أساساً لكل إنتاج مثمر ، وعاملا هاماً لتقوية الشعب وإكثار النسل وطمأنينة العيش .

فكيف اتجهت في تحقيق هذه الأغراض ، وما مبلغ ما كتب لها من النجاح .

هل استطاعت أن تكفي نفسها بنفسها .

يبدو أن طبيعة البلاد تجعل في الإمكان تنويع الإنتاج فيها ، فهي تتألف من أجزاء مختلفة الطبيعة متفاوتة في المناخ والتربة ، فيها الجبال والهضاب والسهول ، وفيها الجاف والرطب ، وفيها البارد والمعتدل ، وما يقرب من المناخ الحار . فهي قابلة للزراعة ، وقابلة لأن تزرع فيها محصولات متنوعة ، وهي غنية بالمعادن ، وفيها مصادر للقوة ، ففي محصولاتها الزراعية ومعادنها وما فيها من مصادر للقوة ما يهيء جواً ملائماً لانتعاش الصناعة بها ، وهي بحكم مركزها الجغرافي نقطة اتصال بين الشرق والغرب ، فمن السهل أن تقوم لها تجارة بين هؤلاء وأولئك ، إذا كان لديها ما تقدمه من المنتجات التي يحتاجون إليها ، وإذا سهلت وسائل النقل والمواصلات بينها وبينهم .

لهذا كان بالإمكان أن تحقق السياسة الزراعية توفير الأقوات للبلاد ، وتوفير المحصولات اللازمة لإمداد الصناعات المحلية بموادها الأساسية ، كما كان بالاستطاعة قيام نهضة صناعية منتشرة في مختلف الأجزاء تمد البلاد بما يتطلبه الاستهلاك المحلي من حاجات .

ولنكون فكرة أوفى من ذلك ، نتناول كل جانب منها ببيان أكثر تفصيلا . ونبدأ بكلمة عن الزراعة .

تعتبر الزراعة المورد الأساسي الذي يعيش عليه أربعة أخماس سكان البلاد . والأرض الصالحة للزراعة أرض واسعة بالقياس إلى عدد السكان ، ولكن ما يزرع منها فعلا كل عام يبلغ إذا أخذنا بالإحصاءات الرسمية نحو ١٤ في المائة من مجموع الأرض كلها ، وتبلغ الأرض المخصصة للكروم والزيتون وغيرها من أشجار الفاكهة ١,٥ في المائة ، وتشغل الغابات ١٢ في المائة ، وتبلغ المراعي ٦٠ في المائة ، ويبقى بعد ذلك ١٤ في المائة من الأرض بكراً لم تزرع بعد .

وأظهر الأقسام الطبيعية في تركيا هو الهضبة الوسطى التي تقع فيها أنقرة وقيساريه ، وأشهر ما تنتجه هذه الهضبة

الحبوب والماشية . وتعتمد الزراعة هنا على المطر ، ولهذا تزرع الأرض سنة وتراح سنة ، حتى تمتص الأرض كفايتها من الرطوبة .

ومجال الإصلاح هنا كبير . وقد سارت الحكومة خطوات واسعة فى هذا السبيل ، منها إنشاء مراكز تجريبية كفلت تحسين نوع البذور ، وأفلحت فى حمل كثير من القرى على استعمال تلك البذور ، وقد نشأ عن إدخال هذا التحسين زيادة كبيرة فى الإنتاج . على أن الخطوة التى ستحدث أكبر انقلاب فى ذلك هى تعميم استعمال الآلات الزراعية الحديثة المصنوعة من الفولاذ ، وستنشأ محطات حكومية لهذه الآلات فى مختلف الجهات يشرف موظفون على توزيع استخدامها بمختلف المزارع ، وتكون الخطوة التالية أن يترك أمر الإشراف عليها لنقابات التعاون بتلك الجهات .

كذلك تعنى الحكومة بأمر المراعى ، ومن ... بعد توفير الآلات الزراعية ألا يترك أمر المراعى ... قطرياً من الحشائش ، بل أن تزرع تلك الحشائش ... بها عناية خاصة . ونجحت مراكز البحث الخاص بأمراض الماشية فى القضاء نهائياً على كل خطر من هذه الجهة . وقد ازداد عدد الماشية ازدياداً كبيراً ، فبلغ عدد الرؤوس من أغنام وماشية أكثر من عشرين مليون رأس ، وأصبحت تربية الماشية مصدر ثروة للبلاد قابلا للزيادة والنمو ، كما نشأ عنها صناعات لمنتجات الألبان واللحوم المضغوطة .

ويلى الهضبة إقليم الغابات ، ويشغل ثمن مساحة البلاد ، وهو يكسو الجبال التى تكتنف الهضبة الوسطى من جوانبها الشمالية والجنوبية والغربية . والغابات مصدر ثروة للبلاد ، فقد كانت من قبل تستورد كميات من الخشب للوقود ، فانخفض ذلك لأدنى حد ونظمت مواردها الخشبية بعد تحسين مواصلاتها . وتصدر تركيا كمية من الأخشاب اللازمة للبناء لمصر وسوريا ، كما تصدر لأوربا بعض أنواع الخشب الفاخر الذى يستخدم للصناعات الرفيعة .

والقسم الثالث هو سهل قيلقيا الذى يحيط بأطنة ومرسين وهو مقر الزراعة الضخمة المنظمة على قواعد رأسمالية ، والمحصول الهام فيها أو المحصول الوحيد تقريباً أن شئت هو القطن ، وهو يمد مصانع الحكومة القطنية فى قيسارية وأوغلى وملاطية والمصنع الخاص فى أطنة بالمادة الخام اللازمة لإدارتها .

والمزارع واسعة تقرب كل منها نحو ألفى فدان وتستخدم فيها أحدث الآلات ، وأجريت فى المصانع الحكومية تجارب علمية دقيقة لاستنباط خير البذور ملاءمة وانتهت بتعميم بذرة كليفلاند .

وشرعت الحكومة فى عمل خزان على نهر سيحون وشق ترعة رئيسية طولها نحو خمسين كيلو متراً تخترق مراكز الزراعة القطنية وسيكون من شأن ذلك بعد إتمام إنشاء الترع الفرعية والمساقى اللازمة توفير الماء اللازم للزراعة فى مستوى الأرض المزرعة وسيحدث هذا المشروع الذى يقدر تحقيقه فى سنة ١٩٤٥ انقلاباً عظيماً فى هذا الإقليم .

والقسم الرابع الشقة الساحلية وهى رقعة خصبة تمتد إلى جانب الشاطئ ، وتتنوع محصولاتها أكثر من الأجزاء الأخرى ؛ ففى الجنوب حيث المناخ حار يقرب من مناخ المناطق المدارية تزرع التين والأعناب والقطن والدخان وأجريت فى قيلقيا وإقليم هاتاى تجارب عن زراعة البن كما أجريت تجارب فى طرابزون على شاطئ البحر الأسود عن زراعة الشاى .

ويقول أحد الصحفيين البريطانيين فى سياق حديث عن تركيا :

تستطيع تركيا تصدير كميات كبيرة من الأعناب والتفاح والكمثرى والخوخ والمشمش والموالح واللوز والطماطم وبها أكبر عدد من أشجار الزيتون فى شرق البحر الأبيض وتستطيع مع زيادة العناية به وبعصر الزيت منه أن تكون من أكبر الدول التى تصدره إن لم تكن أكبرها جميعاً

أما شرق تركيا فقد ظل إلى أمد قريب أرض القبائل الرحل من الأكراد وغيرهم ، وقد اتخذت الحكومة الوسائل لإقرار هذه القبائل وكفالة المراعى الدائمة لها وإدخال الزراعة وأقامت مصنع اللحوم فى طرابزون ، ومصنعا لدقيق اللبن فى قارز كما شرعت فى إنشاء مصانع لتكرير السكر ويساعد تحسين طرق المواصلات على حل كثير من مشاكل هذا الإقليم .

ومع أن التقدم الزراعى كان محدودا بالقياس إلى التقدم الصناعى فإننا نستطيع أن نقرر أن الحكومة لم تغفل أية جهة فى البلاد من عنايتها وأنها شجعت إنتاج المحصولات على اختلاف أنواعها وأنها زادت فيما زرع من الأرض فأصبحت نحو تسعة عشر مليونا من الأفدنة سنة ١٩٣٦ بعد أن كانت حوالى عشرة ملايين سنة ١٩٢٧ . وتضاعف ما تنتجه من الحبوب والدخان ، وزاد ما تنتجه من القطن ثلاثة أضعاف ، وكانت زيادة إنتاج السكر أكبر من ذلك كله ، وعنيت الحكومة بهيئات البحث التى كان لها أكبر الأثر فى تحسين نوع الحبوب وتعميم بذور قطن كذلك ومكافحة الآفات التى تصيب الفاكهة والقضاء على الأمراض التى تصيب الماشية ونشرت الحكومة النظام التعاونى فى البلاد يشرف عليه من فوقه بنك زراعى متين وتتولى الشركات التعاونية الكثيرة التى عمت أغلب القرى إمداد المزارعين بالبذور والأسمدة والسلف الضرورية لهم . وخزن محصولاتهم وأقراضهم بعض ثمنها وتولى تصريفها لحسابهم دون تعريضهم لما قد يقع عليهم من غبن بسبب حاجتهم الملحة للمال واغتنام صغار التجار تلك الفرصة لشراء المحصولات بأثمان رخيصة .

ومع هذا كله فإن الزراعة لا تكفى لتوفير العيش اللائق للزارع ولا يزال إنتاجها غير كاف وحده لحاجاته ، ولهذا جعلت الحكومة مراكز الصناعة منثورة فى الأقاليم ليتسنى للزارعين أن يعملوا بها حين لا تحتاجهم الزراعة وبهذا يضيفون دخلا جديدا إلى دخل الزراعة وفوق ذلك سيكون من أثر اتصالهم بالحياة الصناعية زيادة استنارتهم وحسن إدراكهم لمقتضيات الحياة الحديثة .

وتستفيد الحكومة من مدة التجنيد الإلزامى فى تثقيف هؤلاء الزارعين وتعليم الأميين منهم القراءة والكتابة والثقافة الوطنية الأساسية .

كما تكمل بيوت الشعب ما نقصهم من أسباب التثقيف الضرورى بعد أن يعودوا . وهذا كله لمن فات منهم سن التعلم أما المبتدئون ففى المدارس المختلفة ما يغنيهم عن ذلك .

على أنى أرى أن احتمالات التقدم الزراعى لا تزال كثيرة ولم تبلغ الجمهورية فى النهوض بالزراعة ما بلغته فى الصناعة ، وسنفرد للصناعة والصحة والتعليم مقالا خاصا .

●●●

صاحب المجلة ومديرها
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر
٤٥ فى مصر والسودان
٣٧/٥ للطلبة ومعلمى الإلزام
٦٠ فى الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ فى الممالك الخارجة عن اتحاد البريد
ثمن العدد ١٥ مليما

مستقبل الأدب العربي

يكاد يعم الناس شعور بأن هذه الحرب — التي لم يكن لها مثيل في التاريخ — خاتمة مرحلة من مراحل العالم ، تبدأ بعدها مرحلة جديدة تخالف الأولى في نظمها وعقليتها وما إلى ذلك .

ومن أجل هذا أخذت كل شعبة تفكر في شأنها ومصيرها وتضع الخطط لمستقبلها ، في السياسة والمال والنظم الاجتماعية ، وعلاقات الأمم ، وغيرها .

فلننظر — على نمطهم وعلى بدع العصر — في أدبنا العربي ما مستقبله ، وكيف ينبغي أن يكون ، وأي طريق ينبغي أن يسلك ؟

سؤال عسير ينبغي أن تتعاون في الإجابة عنه أقلام مفكري العرب وأدبائهم حتى يصلوا إلى منهج واضح ينفع الأدب في اتجاهه .

فأول واجب على الأدب العربي في المستقبل — هو أن يتعرف الحياة الجديدة للأمم العربية ويقودها ، ويجد في إصلاح عيوبها ، ويرسم لها مثلها الأعلى ، ويستحثها للسير إليه .

وبعبارة أوضح ، إن الأدب العربي إلى الآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية ؛ فالغزل والمديح والعتاب والرثاء والفخر والهجاء ونحوها كلها في الأدب القديم نزعات فردية طغت على الأدب العربي ولونته اللون الذي نراه ، بل وكذلك في العصور الحديثة تراجم الأفراد أو ترجمة الكاتب لنفسه أو تحليل الأديب لبعض الشخصيات أو روايات الغرام أو نحو ذلك كلها في نظري — أيضاً — من قبيل النزعات الفردية . وأرى أن الأدب العربي يجب أن يتجه من جديد — بقوة ووفرة — إلى النزعة الاجتماعية حتى يعوض ما فاته منها في عصوره المختلفة حتى عصره الحاضر — للأدب منزعان ومنبعان : أدب ينبع من النزعة الفردية والأدب العربي فيها غني قوي ، وأدب ينبع من النزعة الاجتماعية والأدب العربي فيها فقير ضعيف ؛ ومستقبل الأمم العربية وحاضرها في أشد الاحتياج إلى الأدب الاجتماعي ينهض بها ، ولكن ماذا أعني بالأدب الاجتماعي ؟

أعني به — في الأدب العربي — نظر الأدباء إلى مجتمعهم الحاضر يشتقون منه رواياتهم ، وأقاصيصهم ، وشعرهم ، ومقالاتهم الأدبية ؛ ويصوغون منه فنونهم الأدبية . إن مجتمعاتنا مملوءة بالشرور الاجتماعية من عيشة أكثر الناس عيشة تافهة سخيفة ، وليس الناس هم المسئولين عن سوء وضعهم وسوء حياتهم بقدر ما هو مسئول عنها أولو أمرهم والقابضون على زمام التصرف في شئونهم ؛ فلاح بائس ، وفلاح مسكين ، وزوجة تعيسة ، وفقر ومرض ، واستعدادات ضائعة ، وكفايات لا تجد من يوجهها ، وأطفال لا تجد من يربيها ، وأغلبية لا تجد ضرورات العيش ، و[illegible] مستعدة لا تجد من يرقيها ، وعقول صالحة لا تجد من يثقفها ، ومئات ومئات من أمثال هذه المآسي تنتظر من الأدب أن يعالجها ويشرّحها ويحللها ، ولا يقتصر على إعادة وصف ما هو كائن بل يرسم ما ينبغي أن يكون ، في روايته التي يضعها ، وشعره الذي يصوغه ، وقصصه الذي يحكيه ، ومقالاته الفنية التي يحررها ؛ ولا يكون ذلك حتى يخرج الأديب من عزلته وينغمس في الحياة الواقعية ويلمسها ويكتوي بنارها . وعلى الجملة يصبح عندنا أدباء هم قادة للرأي العام يبصّرونه بموقفه ويطلعونه على مزاياه وعيوبه ويحركونه لغرض نبيل يتسامى إليه — بل هم إذ ذاك يكونون خيراً من المصلحين الاجتماعيين العلميين لأن هؤلاء علماء يبحثون عن الحقائق ، والأدباء فوق ذلك يلهبون بفنهم العواطف ، فقادتهم أقوى وأثرهم أبلغ عما يبثون من حرارة الفن ، وتهييج النفوس للخلاص من الشر والوصول السريع إلى الخير . إنهم يثيرون

الكراهية للموجود ، وعاطفة الطموح للكمال ، وهم بذلك يمقتون للناس حياتهم التعيسة التي يعيشونها ، وينيرون السبيل لحياة أسمى يعملون للوصول إليها .

وهذا النوع من الأدب – ما دام الغرض منه الإصلاح الاجتماعي ، وقيادة الرأي العام وتنبيهه – يجب أن يكون أسلوبه سهلا واضحا جميلا جهد الطاقة ؛ لأنه لا يؤدي رسالته حتى يصل إلى آذان أكبر عدد ممكن في الهيئة الاجتماعية ، فإذا تأنقنا في أسلوبه وملأناه بالمحسنات الفنية ، وعلونا في التعبير ، انقلب الغرض من إصلاح شعوب وأمم إلى إصلاح عدد قليل من الطبقات الممتازة فقط . على أن القطعة الفنية في الأدب متى كان لها موضوع ، وكان لها قضية تكشفها وتؤيدها وتدعو إليها استغنت عن كثير من التجميل الأدبي ، والغلو في الاستعارات والكنايات والمجازات ؛ فإن هذه أشد ما يحتاج إليها عند خلو الكلام من موضوع قيم ، أو أفكار قوية عظيمة .

ولست أريد أن أقول إن كل أدبنا العربي سيتجه في المستقبل هذا الاتجاه ، أو أنه ينبغي أن يتجه فقط اتجاه فقد أنكر قيمة أنواع الأدب الأخرى من شعر غنائي أو قصص تحليلي أو فن للفن أو نحو ذلك ؛ وإنما أريد أن أقول إن الأدب الاجتماعي يجب أن يكمل في الأدب العربي بقوة وغزارة لأن موقف الأمم العربية في الحاضر والمستقبل أشد حاجة إليه من أنواع الآداب الأخرى .

أطمع أن يكون لنا في الأدب العربي أمثال برناردشو في الأدب الإنجليزي وأناتول فرنس في الأدب الفرنسي وتولستوي في الأدب الروسي ؛ وأمثالهم ، ممن وقفوا أدبهم على خدمة المجتمع وإشعاره بعيوبه واستثارته إلى التسامي .

وهذا هو الأدب الأمريكي يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية في شتى شئونها ، ثم لم يكتبوا في خيال وأوهام وأحلام ، إنما يكتبون أكثر ما يكتبون في مشكلاتهم ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية ، وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان والرومان وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه . فللأديب العربي أن يستوحي امرأ القيس ، أو شهر زاد ؛ ولكن يجب أن يكون ذلك نوعا من الأدب لا كل نوع ولا هو النوع الغالب ولا هو الأرقى .

والذي أوقع الأدب العربي في هذا النقص أن الأدب ظل من ظلال الحالة الاجتماعية ، وللبيئة أثر كبير في تكوينه ، والأمم العربية قضت عهدا طويلا في دور قوي فيه الوعي الفردي ، ولم يقو فيه الوعي الاجتماعي ، شأن الأمم كلها . ولكن الأمم الحية قطعت هذه الدور ، وتمت الوعي الاجتماعي ، والأمم العربية لا يزال الوعي الاجتماعي فيها في حالة التكون لم يتم ولم يقو ، ومظهر الوعي الاجتماعي نجاح الجمعيات والنقابات والشركات والمؤسسات التي تنشأ من النزعات ونحو ذلك ؛ فالوعي الاجتماعي يكون حيث يكون شعور أفراد الأمة بعلاقاتهم وخيرهم واتجاه تفكيرهم وإرادتهم لخير المجتمع بجانب الشعور والتفكير والإرادة في أشخاصهم ؛ وإذ بدأ هذا الوعي الاجتماعي رأيت للأمة عادات وتقاليد وعرفا تراعي فيها مصلحة المجموع أكثر مما تراعي مصلحة الفرد ، ورأيت للفرد عواطف نحو أمته كعواطفه نحو ذاته ، فهو يسر للخير يأتيه ، ويتحمس للعمل ينفعه ، ويتألم من الشر يحيق به ، فكذلك تكون عواطفه نحو أمته ؛ وإذ ذاك يكون في الأمة قانون غير مكتوب ، ولكنه يراعى أشد المراعاة : في الاحتفالات والاجتماعات وفي مآسي الأمة ومسراتها ، وفي حروبها ، وفي شدائدها . وإذا نما الوعي الاجتماعي ظهر أثره في نجاح المشروعات الاقتصادية في الأمة ، وفي نظم الأحزاب السياسية ، وفي النقابات الزراعية ، والهيئات التعليمية ، وما إلى ذلك .

وتاريخ الوعي الاجتماعي في الأمة يرجع إلى وجود أفراد سبقوا زمنهم وكانوا قدوة لأمتهم ، فشعروا بمجتمعهم

شعورهم بذاتهم ، وكانوا المثل الذى قلد ، والقدوة التى اتبعت ، ثم انتشر تقليدهم حتى كان من ذلك رأى عام واع وعيا اجتماعيا ، يغضب للظلم ، ويتحمس للعـدالة ، ويتغنى بالحرية ، ويألم للفقر ، ويغار على كل ما يمس أمته ، ويخصص كل فرد جزءا من حياته لعمل اجتماعى وهكذا . ويقوم الرأى العـام فى المحافظة على العادات الطيبة ، والمواطف النبيلة مقام الجيش والبوليس للحكومة .

وفى طبيعة كل إنسان وعى بذاته وشخصه ، ووعى بمجتمعه ، ولـكنه فى الأمم البدائية ينمو الأول ويضعف الثانى ، لأسباب كثيرة — فى الأمم البدائية تصدر حتى الأعمال الخيرية ملاحظا فيه الفرد نفسه ؛ فالإحسـان لنفع أمه ، أو لشهرته أو لذكر اسمه فى الجرائد ، أو لتكفير سيئاته ، وفى الأمم الراقية الإحسان لإنهاض الفقير ، وتخفيف الويل عن المجتمع ، وفى الأمم الحية يشعر الماشى فى الشارع أن الشارع له وللناس ، والسينما له وللناس ، وخيرات البلد له وللناس ، والأغنياء لا بد أن يحملوا ما يستطيع كما يحمل الناس ، ويلوّن بقلمه مصر الله وأعماله .

لست أريد الدخول فى تفضيل الوعى الفردى والوعى الاجتماعى ، وإنما يكفينى هذا القدر لبيان أن الأدب ظل لحياة الأمة فى هذا الباب ، فإذا طغا الوعى الفردى فى أمة كان الأدباء من هذا القبيل ، هم صدى للنزعات الفردية والوعى الفردى فقط إلا القليل النادر ، فنتاجهم الأدبى غزل وحب وغرام وروايات لتحليل أنفسهم أو لتحليل بعض الشخصيات ، أو قطع فنية لإثارة الشهوة الجنسية وحتى باب الأدب نفسه يرجع فى الأغلب إلى نصح الإنسان بصلاحيته كفرد لا كعضو فى مجتمع — وهذا مع الأسف هو الأدب العربى فى عصور طويلة إلى الآن تقريباً .

بل أبو العلاء المعرى نفسه وهو أكبر شاعر عربى نظر فى شعره إلى المجتمع وأبان سيئاته قد أفلح فى مقدماته ولـكنه لم يوفق إلى النتيجة كما نرجو الآن . فقد نجح فى وصف سيئات المجتمع من ظلم الحكام ، وفساد المرأة ، وفسـاد رجال الدين ونحو ذلك ، ولـكنه شرح ذلك ليخلص منـه إلى أن المجتمع لا يصلح للبقاء ، ولا يصلح لأبى العلاء ، لأن ينغمس فيه . يقول أبو العلاء :

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ، ويقال ساسه
فأف من الحياة وأف منى ومن زمن رياسته خساسه

فالمقدمة بديعة لطيفة وإن كانت فى حاجة إلى البسط والنتيجة ليست هى التى نُريد فهى نتيجة يائسة وإنما الذى نُريده أن يشرح هذه العيوب للدعوة إلى إصلاحها ، وإثارة النفوس للتخلص منها وإحلال المثل الطيبة محلها . نريد من الأديب إذا ألف مأساة « تراجيديا » ألا يقصد إلى شرحها وتحليلها فقط ولـكنه يبين مسئولية المجتمع فيها ويثير النفوس للثورة على الخلاص منها ، وإذا ألف ملهاة « كوميديا » ألا يقصد إلى استخراج الضحك فقط من الممثّل ولـكن ليستثير السخرية على من كانوا السبب فيها حتى لا تعود إلى الحياة ، وهكذا — وهناك أدباء من هذا القبيل تقرؤهم فتشعر أن عقلك اتسع ، وعواطفك سمت ، ومشـاعرك بالإعجاب بالحسن أو الكراهية للقبيح حييت وتحمست ، وعملك فى حاجة إليه .

إن الأمم الشرقية فى بدء عهدها بالوعى الاجتماعى ، فيجب أن يكون لها أدباء يدفعون هذا الوعى إلى الأمام حتى يكمل وينضج ، وهذا ما أتوقعه فى الأدب العربى القريب ، إن الأديب من هذا الطراز رسول أمته وهاديها إلى الخير ، وراسم أغراضها فى الحياة ، يدرك الحقائق قبل أن يدركها الناس ، ويشعر بها قبل أن يشعر بها الناس ، ثم يحرك عقولهم لإدراكها ، وعواطفهم للتحمس للعمل بها ، يشعر من أعماق نفسه أن له رسالة أن يرفع مستوى الناس ويدفعهم إلى حياة أسعد وعيش أصلح ، يجمع بين السمو الخلقى ، والسمو الفنى ، ثم يسخر فنه لخدمة ما يصبو إليه لقومه .

إذا تحقق هذا فى مستقبل الأدب العربى اعتدل مزاجه وكمل نقصه ، وجاوب ما فى الطبيعة البشرية من حب الذات وحب النوع معا .

وهنالك آمال أخرى فى الأدب العربى أعرض لها فى حديث تال .

أحمد أمين

الخط العربي مزاياه وعيوبه

— ١ —

حاول الإنسان منذ عقل البيان ، أن يبين عن مقاصده باللفظ والإشارة ، وأن يثبت معانيه في صور أبقى من اللفظ تبق ذكرى له حين الحاجة ، أو بلاغا لغيره ممن بعد عنه ، أو علامة على ما يريد أن يميزه من حيوان أو أرض أو متاع .

وقد فقه أسلافنا ضروب الدلالات ، وأبانوا حاجة الناس إليها ، واختلافها في سد تلك الحاجة . قال أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين :

« وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال وتسمى النصبة . والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات » .

وتكلم في كتاب الحيوان من أنواع الدلالات ، وبين أثر الخط في الحضارة ، وقال :

« وليس بين الرقوم والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحاب البز والغزول ، وأصحاب الساج وعامة التجار . وليس بين الرسوم التي تكون على الحافر كله والخف كله ، والظلف كله وبين الرقوم فرق ، ولا بين العقود والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق . وكلها خطوط ، وكلها كتاب ، أو في معنى الخط والكتاب . ولا بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت المقطع في الهواء ، وبين الحروف المجموعة المصورة من السواد في القرطاس فرق » . وكذلك جعل من الخط كل رسم في الأرض كخط الحازي والعراف والزاجر .

ومن أسباب النقش والكتابة وأنواع الدلالات الباقية على الزمان حرصُ الإنسان على تخليد ذكره ومدّ عمره بآثاره . وكما كان خوف الموت حافزا إلى كثير من العلوم والصناعات كما قال المعري :

وخوف الردى آوى إلى الكهف أهلَه
وعلّم نوحاً وابنه عمل السفن

كان خوف النسيان بعد الموت داعياً إلى البناء والنقش وأصناف من الخطوط والأنصاب .

ويقول الجاحظ أيضا :

« وكانوا يجعلون الكتاب حفرا في الصخور ، ونقشا في الحجارة ، وخلقة مركبة في البنيان . فربما كان الكتاب هو الناتئ ، وربما كان الكتاب هو الحفر ؛ إذا كان تاريخا لأمر جسيم أو عهدا لأمر عظيم ، أو موعظة يرتجى نفعها أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره أو تطويل مدته كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان ، وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقّر وعلى الأبلق الفرد ، وعلى باب الرُها ، يعمدون إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور ، وأمنعها من الدروس ، وأجدرها أن يراها من مرّ بها ولا تُنسى على مر الدهر » .

حاجة الإنسان إلى البيان ، وحرصه على الخلود كانا سبباً لضروب الكتابة والنقش . وقد مرّ البشر بأطوار كثيرة تلائم إدراكه وحاجته حتى بلغ ما بلغ في عصرنا هذا .

ولا يزال بعض الناس في عصرنا يتوسلون إلى البيان بوسائل الجماعات الأولى ، قبل أن يهتدي الناس إلى الكتابة ، ولا يزال الناس يَسِمون الحيوان ، والمتاع ، ولا يزالون يحسبون بالعُقد والحصى والسابح ونحوها .

وقد قرأنا عن ناس في أستراليا يستعينون على تأدية الرسائل إلى البعيدين عنهم بعصاً تسمى « عصا الرسول » : يتأهب الرسول لتلقي رسالته ، ويؤتى بعصا . ثم تلقى الرسالة بينا تحز على العصا حزوز مختلفة يتخذها الرسول تذكرة . فإذا بلغ المرسلَ إليه خلا به وأدى الرسالة ناظرا إلى حزوز

العصا . وبيّن أنه إذا تعددت الرسالات تتخذ تلك الحزوز معاني تقربها من الكتابة .

وقد عرف كذلك عن سكان أمريكا الأصليين دلالات مختلفة لأدوار مستعملة بينهم . يدلون — مثلا — على عدد الحيوان المبيع بخطوط تساوي العدد تنتهي بصورة الحيوان ، ويدلون على الثمن برسم دوائر تدل على شكل « النقود » .

وقد قتل رئيس هندي اسمه القباء الأحمر سنة ١٨٠٧ فسجلت الواقعة بتصوير قباء أحمر تخترقه سهام ويسيل منه دم . ودلّوا على المجاعة بصورة إنسان بارز الأضلاع ، وعلى الحزن بتصوير وجه أو عين يسيل منه الدمع . وقد وقعت معاهدة بين جماعة منهم وقائد أوربي فقدّم إليه حزام نظمت فيه أصداف ورق وسطه صورتان تتصافحان » الخ .

فهذا وكثير مثله بقية مما حاوله البشر البدائي منذ انتظمت جماعاته وتفاهمت .

وهكذا نشأت الكتابة في الأمم القديمة [illegible] المصريون ، والبابليون ، وأهل الصين [illegible] بالصور ؛ فكانت الصورة تدل على المعنى [illegible] الصور على ألفاظ أو مقاطع . ثم انتهت الصور إلى الدلالة على الأصوات المفردة فكانت الكتابة الحرفية التي نعرفها .

٢ — الخط الفينيقي

مهما يختلف الباحثون في الخط الفينيقي أخترع في الشام مستقلا غير متأثر بغيره أم كان للخط الأشوري أو المصري أثر فيه ؛ فلا خلاف بينهم في أن الفينيقيين استعملوا خطا هجائيا عرفت منه آثار ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد وأن استعمالهم له ينبغي أن يكون قد سبق هذا التاريخ بحقب طويلة ، وأن هذا الخط إذا قيس بالخطوط الصورية القديمة أو الخطوط المقطعية التي نشأت عنها ، عدّ فتحا عظيما في الحضارة ؛ فقد أغنى اثنان وعشرون رمزا صغيرا عن مئات الصور بل آلافها التي كانت مستعملة عند الأمم الأخرى ، وكان لهذا في الحضارة أثر يشبه اختراع الحروف المنفصلة في الطباعة . كان بعض القدماء يطبعون بقوالب ، فلما اخترع جوتنبرج الحروف المتحركة فتح هذا الفتح العظيم .

ولا يختلف الباحثون كذلك أن هذا الخط الفينيقي هو أصل الخطوط الأوربية كلها وأصل الخطوط السامية جميعها ، ومنه أخذ الخط السنسكريتي ، والخط الفهلوي ، والخط الذي كتب به بعض اللغات التركية في جهات سيبريا ، وهو الذي يسمى خط أورخون كما أخذ منه الخط التركي الآخر المسمى الأيغوري . وليس يعنينا في هذا المقام ولا يمكننا ، أن نبين تطور هذا الخط في أيدي اليونان حينما أخذوه من الفينيقيين ، ولا كيف تطور في الكتابة اللاتينية والكتابات الأوربية الأخرى ، ولا كيف أخذت منه الخطوط السامية المختلفة ومنها الخط العربي . فذلكم بحث طويل شاق لا نحتاج إليه في هذا المقام ، ولكني أذكر [illegible] مما نحتاج إليه لاطراد بحثنا .

[illegible] المجاني الذي تطورت إليه الكتابة [illegible] أربعة وعشرين حرفا لا حركة فيها . والخط الفينيقي الذي تفرعت منه الخطوط التي ذكرت مؤلف من اثنين وعشرين حرفا لا حركة فيها . ولما أخذ اليونان الكتابة الفينيقية وجدوا فيها من الحروف أكثر مما يحتاجون إليه — وأريد بالحروف كل ما عدا الحركة مما يسمى بالاصطلاح الأوربي : "Consonent" — فحولوا بعض الحروف الزائدة إلى حركات ؛ حولوا الهاء إلى e والعين إلى o ، والحاء إلى η والواو إلى u .

وكتب اليونان الحركات مع الحروف وسار على نهجهم في هذا كل الأمم الأوربية .

ولكن الأمم السامية كلها لم تكتب صور الحركات في خلال الكلمات مع صور الحروف إلا الحبش في الطور الثالث من كتابتهم كما يكتبون اليوم . وسنعود إلى هذا بعد .

وأقدم ما كشف عنه البحث من الآثار المكتوبة بالخط الفينيقي يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد . وهو حجر

في المـــرآة

[من آيات البيان للمغفور له الشيخ عبد العزيز البشرى]

كان المغفور له الشيخ عبد العزيز البشرى عضوا كريما من أسرة كتاب الثقافة ، كما كان علما من أعلام الأدب العربي ، وإن كان القراء قد حرموا نفثات قلمه الجديدة فإنا ننشر قطعة من آثار قلمه الباقية على الدهر في مناسبة ذكرى وفاته التي وقعت في يوم السبت الماضي الخامس والعشرين من شهر مارس .

في حضرة الرئيس (سعد)

ملء السمع ، ملء القلب ، ملء البصر . لو حاول بكل جهده ، ألا يكون رجلا عظيما ما استطاع ، وهيهات لامرئ أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله ! وقد سوى الله له هذه العظمة من يوم مدرجه ، فكان طالبا عظيما ، وكان قاضيا عظيما ، ثم تناهت إليه زعامة أمة ، فهو فيها ملء السهل والجبل .

بحسبك أن تراه لتعرف أنه سعد ، ولو لم يعرفك إليك أحد بأنه سعد ، وكيف يختلط عليك أمره ، وهيد القدرة قد دلت عليه بدلائل تنبئك بأنه ، وإن كان من الناس ، إلا أنه أعظم الناس .

بسطة في العلم والجسم ، بسطة في العقل والحلم ، وعزم تزايل الجبال دون أن يتزايل ، ويقين تتحول الأرض عن مدارها ولا يتحول ، ومنطق يصول في الجلّى حتى لتحسبها الجحافل قد تداكت بسيوفها وعوالها ، ويلطف في السمر حتى لتتمثل أسراب الكواعب وَسْوَست حليُها وتضوعت منها غوالها .

وما إن رأيت ولا سمعت برجل فسح الله تعالى له في البيان ، وأمكنه من نواصي الحجة كما فسح لسعد ومكّن لسعد . ولقد تتقدم عباراته في الأمر تظن أنك قد بلغت منه الغاية ، ووقعت على الصميم ، وتمنعت منه بالحصن القوىّ ، فما هو إلا أن يرسل عليك الحجة حتى ترى أنه ملك الرأى عليك من جميع أقطارك ، وأنك سُرعان ما وقعت أسيرا في يديه تتقلب فيهما تقلبا ، وهيهات لك الخلاص إلا أن تنزل من أمرك على الإذعان والتسليم .

وإن أنس لا أنس ليلة مضت من عشر سنين حاور فيها [illegible] محكمة الاستئناف ، معروفا بشدة الجدل ، في مسألة فقهية ، وكلما ألحط الرجل فيها على رأى ألزمه سعد فطار إلى غيره ، حتى إذا ظن أنه تمكن في ألقوسه ثار عليه بالحجة فوثب إلى سواه ، وما زال به

كشف في زنجرلي من شمالي سورية . وهو نقش فيه أحد عشر سطرا وفي زاويته اليسرى العليا صورة الملك كلمو أحد ملوك الكنعانيين في ملابسه الحربية .

والظاهر أن مبتكر الخط الفينيقي استعان بالصور ؛ ولكنه لم يضع الصورة للدلالة على المصوَّر ولا للدلالة على لفظ أو مقطع كما نجد في تاريخ المصرية والآشورية بل رمز بصورة الشيء للحرف الأول من اسمه . فدل بصورة البيت مثلا على الصوت الأول من كلمة بيت وهو الباء ، ثم اختزلت الصور . ولا تزال أسماء الصور بيّنة في أسماء الحروف السامية . ولا تزال الصور الأولى واضحة في بعض خطوطها : الألف ثور ، وبيت (باء) بيت ، وجميل (جيم) جمل ، ودالت (دال) باب ، وواو وتد ، وزايين (زاى) سيف ، ويود (ياء) يد ، وكاف وكاف كفّ ، وميم ماء ، ونون ثعبان (نحن) ، والسين سمك ، وعين عين ، وف (فاء) فم ، وريش (راء) رأس ، وشين سنّ ، وتاو (تاء) علامة الخ ...

ولا تزال صور هذه الأسماء واضحة في كثير من الحروف السامية ولا سيما الخط السينائي الذى كشف في بادية سيناء . وفيه تظهر صور رأس الثور والبيت والكف والسمكة والعين واضحة في علامات الحروف : ألف ، باء ، كاف ، سين ، عين .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

صفرا من الحيل يقشره ويطويه وينقله من رأى إلى رأى ، ويحوله من قول إلى قول ، حتى داخ الرجل ووهن ، ولم يبق فيه فضل لحوار ولا جدال !

ولا أدرى أكان ذلك من سعد مجرد تَهدٍّ للرأى ، وتعقب لموطن الصواب ، أم أنه إنما كان يتلعب بالرجل تلعبا ليزله على معرفة قدره ، ففى نفس ذلك المستشار غرور ، وفى أنفه ورم ! أم هى الخيلة تبعثها فى النفس شدة التمكن من النفس ، وإنه ليلذ لها أحيانا ألا تمتعك بذلك الواقع الذى اطمأننت به ، والحق الذى استرحت إليه ، فما هو إلا أن تصول بالحجة عليك حتى ترى أنك إنما كنت تقبض على الهواء ، وأن صرحك الذى أقمته تفرق عنك تفرق الهباء ، فتتولى متخذلا عن يقينك وقد ضربك الشك : أكنت مخدوعا من الواقع ؟ أم أن هذا الواقع دون قوة سعد فهو يصرفه بحجته كيف يشاء ؟ لا أدرى يوما ماذا كانت إربة الجبار ، والله أعلم .

وسعد قد علت به السن وشاب رأسه وعارضاه ، بسط الله فى عمره ، ما زال يمرح من فطنته القوية فى أفق الفتوة وأمرع الشباب . ولو كتب لك الظفر ساعة بمجلس هذا الذى دوّت الدنيا كلها بمجده لنعمت بما لا يلحقه الوصف من عذوبة طبع فى عذوبة مجلس ، وحديث كأنه قطع الروض وفى آسه ونسرينه ، وتضوع ورده وياسمينه ، وبديهة كأنه يقرأ منها فى كتاب ، وكأنها تستوحى الغيب فليس بينها وبين الغيب حجاب ، ونادرة تشيع فيك الطرب ، وتهزك من إعجاب ومن عجب ، إذ هو فيما يرسل من القول ، فى جده ومزاحه ، لا يعدو ما ينبغى له من تحشم ووقار .

وإنه ليقبل عليك بكل لطفه حتى يفرخ روعك ، ويفسح لك فى جوانب القول لتقول ، وإنه ليباريك فى منزعك ، ويدارجك فى حديثك إلى أن يرسلك على سجيتك ويسترسل معك ، حتى إذا ما اطمأننت إليه وظننت أنك فى مساجلة رجل مثلك ، خالفه عبقريته ، فوثب به ذهنه إلى ما لا يتعلق به ذهنك ، فإذا أنت قد طرت كل مطير ، وإذا الطبيعة تأبى برغمك ورغمه إلا أن تشعرك أنك فى حضرة سعد زغلول !

بالله هذا الرجل ! وإنه ليعرض فى الأمر فيقول فيه مقالا ، وإنك لتقرر بادئ الرأى غاية ما تعاهد الناس من حجة ، وأقصى ما تعارفوا من دليل ، فإذا هو قد وقع فى تدليله على ما لم تقع عليه ظنون الناس ، وارتفع إلى ما تتعلق به أذهانهم ففتح فى المنطق فتحا جديدا وأتى بما يبهر ويروع ، وكيف لسعد ألا يرتفع على مذهب حجة الناس ، وقد رفعه الله على الناس ؟

وسعد وافر الشعور بعظمته ، مزدحم الشعور بأنه إنما يتحدث على آمال أمة ، فهو مهما بارى المجلس فى فنون أحاديثه ، ومهما نزل به السمر إلى تلك الأسباب الدائرة بين الناس ، رفه بذلك عن نفسه وعن صحبه ، يطفر الفينة بعد الفينة إلى حديث الوطن فيشك فيه معنى جليلا ، ثم يعود بعيدا ... لله من حديث القوم . أعلمت أن سعدا لا يصلح إلا للوطن ، وأن الوطن لا يصلح إلا بسعد ؟

أريد أن أكتب عن سعد ، ومن الغرور أن أظن بقلمى الوفاء بوصف سعد مهما تفرج فى جوانب البيان ، فإن البيان إنما يجرى فى غايته إلى ما تعاهده الناس من الطبيعة ومن الناس ! أما تلك النفحات الإلهية التى يرسلها الله تعالى فى العصور الطوال ثنيا بعد ثنى ليقيل أهل الأرض المذلة ، ويهديهم من الضلة — فذلك ما تعجز عنه اللُّغى ويقصر من دونه البيان .

وبعد فإذا أردت أن تصف للناس سعدا فلن تستطيع أن تصفه بأبرع من لفظة (سعد) فقد جمعت من وجوه المعانى ما لا يبلغه الكلام ، وإن قدّرته العقول وتعلقت به الأفهام .

حكم فى الجنحة ٩٦ عسكرية عالية سنة ١٩٤٣ بتغريم زكى حسن قناوى ٥٠ جنيه والنفر والتعليق والغلق والمصادرة لبيعه زيتا بأزيد من السعر المحدد .

فى الذكرى الألفية
لأبى العلاء

أظلتنا الذكرى الألفية لميلاد حكيم العرب وأعظم شعرائهم غزارة فكر ومادة لغة وعمق روح ، وتقليب رأى ، وأقربهم إلى موضوعية الشعر ، وأبعدهم عن شعر المناسبات : أبى العلاء « المثال » اللغوى الذى بحث من كل مادة من مواد اللغة العربية عثال بيان لمعنى من معانى نفسه وما أكثرها !

أظلتنا ذكرى ميلاد ذلك الروح الذى قضى حياته رهين أحباسه وسجونه التى أغلقتها عليه نكبات الطبيعة وتشاؤم المزاج ، وظلم الإنسان ، وحسد الأقران ، وفساد النظم السياسية ، ورياء كثير من رجال الدين ، وانحطاط الخلق ، وزهده فى الاشتغال بصغائر الدنيا التى تصرف النفس عن التفكير فيما لا يقين فيه ، وتعمقه نفسه وخواطره وتقليبه فكره فيما خلق الله من شىء ، وإرهافه شعوره ، وكبته العنيف لشهواته ، وحمله نفسه على الحرمان المطلق من أكثر طيبات الدنيا ، وتفرده وعزلته التى جملته شديد الحياء ، وحشى الطبع يأنس بالصمت والسكون والبعد عن الناس ، ناسيا نصحه للناس :

إذا ما عرا بكم حادث فتحـــدثوا

فإن حديث القوم ينسى المصائبا

أجل لقد عاش هذا الروح لا رهين محبسين اثنين كما لقب نفسه ، بل رهين هذه الأحباس والسجون التى لا يفلت منها شىء ، حتى أطلقه الموت وأطلق شعره وخواطره ، وحررها من ملابسات الزمان والمكان ، ومن عقابيل الفقر وشدة الحياء ، ورقة الإحساس ، فإذا بها خواطر من الطبقة الرفيعة من الأدب الروحى الثائر على قيود الأرض وأوضاع الاجتماع ... الأدب الذى يثير الفكر فى القضايا التى ما جاءت الإنسانية للأرض إلا لتحتك بها عقولها ، وتعمق بها قلوبها ، حتى تحتوى معانى الحياة احتواء ضنين بها ، أمين عليها ، يقظ لأسرارها ، الأدب الذى تغذيه المادة اللغوية الغزيرة والتعبير الجميل ، والتاريخ المستوعب لدقائق الحوادث والأشخاص فى بلاد العرب وغيرها من أمم عصره ، وفلسفة المتأملين ، وعلم الفقهاء ، وكهانة الكهان ، وحديث المنجمين ، وتأويلات المتصوفين ورموز الرامزين .

وإننا بعيشنا معه فترات فى ظلال هذه الذكرى سنثير المسائل الذهنية والقلبية التى استبدت بخواطره ، وقضى فى معالجتها والإدمان عليها أكثر من أربعين سنة وهى المدة التى سجن فيها جسمه فى بيته ، وأطلق خواطره تدور حول الإصلاح فى البلاد والعباد ، وتبحث فيما تلقاه من مواريث الفكر والدين والعلم والاجتماع والسياسة والأخلاق ، ثم تسجل وحى الساعة ببيان أحاد التعبير والتصوير لأخفى خوالج النفس البشرية ، وأدق ملامح الحياة الاجتماعية ، وأعنف ملاحم النفس مع الطبيعة ، وأشد صور العناصر والأخلاط فى الأجساد والأرواح ، فكان فكره عبقريا ظهرت به جوانب خافية لم يكن يراها الناس قبله ، وكان خياله وصنعته البيانية من خالقات الصور الذهنية التى تضاف إلى الكائنات المنظورة والمحسوسة فتعمر جوانب الأحلام والتهاويل فى النفس الحائرة الظامئة المتمردة على قيود التجسيم والتشكيل ... مما يصل فكر قارئه عقلا ، بكثير من صور الحياة كما هى ، وكثير من صور الحياة كما يجب أن تكون عليه فى رأى فنان حكيم كأبى العلاء .

وإنى لأتمنى أن يخرج ديوانه — اللزوميات — إخراجا فنيا تتعاون فيه الطباعة الجيدة والتبويب الموضوعى والتصوير الفنى لكل لوحة من اللوحات التى يعرضها ، والتخييل المهول لكل معنى ورمز ألم إليه خياله الجوال المتعمق ، فإنه يعرض لوحات عامرة بنبض الحياة للجمال والقبح ، والإيمان والكفر ، والظلم والعدل ، والصلاح والفساد ، والإخلاص والرياء ، وكل شىء فى دنياه وفى دنيا الناس .

وإن ديوانه هذا لأحق ديوان عربي أن تحشد له الجهود الفنية والعلمية لحذف فضوله ، واختصار معانيه المكررة ، وشرح غوامضه ومقابلة آرائه ، وبيان مناقضاته وتناقضاته ، وتصوير لوحاته ورموزه من مهرة المصورين المثقفين الذين يستطيعون الرجعة إلى دنيا أبي العلاء ، والتسلل إلى نفسه ... وإن حياة المعري وحده صورة مثيرة موحية تستحق الإخراج والتمثيل ... فما بالك بدنيا أفكاره الزاخرة التي حشرها وعرضها في ذلك الديوان الكبير الذي لا تكاد مقطوعة من مقطوعاته تخلو من لفتة ذهنية من لفتاته ذات الطابع الخاص .

فإلى أكبر أصدقاء أبي العلاء وخدام أدبه . الدكتور طه حسين بك يساق هذا الرجاء ...

وأنا لست من رأي أبي العلاء في كثير مما ذهب إليه في الفكر والحياة التي أعتقد أن الإقبال عليها والاعتقاد بصدقها ، والتقارب إلى غاياتها الظاهرة ، والاستسلام لقوانينها وأحكامها أولى بالفيلسوف من رفضها وتكذيبها والباعثة من غاياتها ، والتمرد على أ[illegible] تدخلها بغير اختيار ونخرج منها بغير اختيار ؟ وقد دل الاستقراء على أن الرفض والتمرد في كل شأن من شئون الحياة الثابتة لم ينتج إلا نتائج مُبيرة مضيّعة لبقايا الصلاح التي يبقيها الفساد .

وليس من الحكمة فتح كل حجرات الفكر والقلب وعرض الحياة على ما فيهما من آمال السعادة والكمال . وإنما الحكمة أن نبقي على بعض الحجرات مغلقة ، لنلجأ إليها حين نفر من معارك الحياة ومضايقاتها طلباً للاستجمام والاسترواح ... وهذه الحجرات التي تعمرها آمال الكمال والصلاح ليست مما هنا .. ليست من عالم النقص والفساد ، وإنما هي مما وراء الحياة المؤقتة . وهي عندي دليل على أننا مخلوقون لعالم كامل ننزع إليه دائماً ، ونقيس حياتنا هنا بما يتراءى لنا من مقاييسه ، وإلا فمن أين لنا هذا النزوع إلى الكمال الذي لم نتمتع به لحظة في دنيانا ؟

وإن التراث التي جنتها الإنسانية السائرة مع الحياة وقوانينها ، الصابرة تحت أحكامها وأجابتها وأعبائها ، الباحثة من وسائل تحقيق آمالها في دءوب ومثابرة برغم نكسات الخيبة والارتداد ، العامرة القلب بالأمل في مستقبل أسعد وحياة أكمل ، لدليلٌ أعظمُ دليل على أن أخذ ما تعطيه الحياة وتسمح به أولى من رفضه ، وأجدى على الفرد والجماعة والحاضر والمستقبل .

ولا يليق بالفيلسوف أن يلقي كلمته النهائية في الحكم على الحياة ما دام لم يشهد من روايتها الفصل الأخير الذي تتضح فيه فكرتها وتنحلّ عقدتها .

من يدرينا بما هو آتٍ في طويل الآباد ؟ إن الليالي مُثقَلات يلدن العجائب من حياة هذا الإنسان . وعمر أحدنا لا يوازي من عمر الزمان برهة .. والعالم العظيم الذي نرى جزءاً ضئيلا من سطحه في السماء لا يليق بعقولنا وبهذه الأرض الضئيلة أن تتصدى له الآن بحكم من الأحكام إلا ما يبيحه العمر المحدود .. فماذا تقبض اليد من العالم [illegible] من اكتشاف خباياه وهتك الأستار عن [illegible] الشمس بحمد الله تغيب وتطلع مشرقة الوجه واهبة الحرارة مجددة الفصول ، رافدة عوامل الحياة والنماء ، آتية كل يوم بجديد من علم الإنسان ؟ لماذا أيها الفلاسفة الحكماء تتعجلون إصدار الأحكام ؟ ألأنكم ستموتون وتقبرون سريعاً تريدون تعجيل كلماتكم وإلقاء حكمكم على الحياة في أبدها الآتي ؟

إن العقل والإنصاف يقضيان بانتظار النهاية ... وما يضيرنا أن نمضي بدون حكم ما دمنا لم نحصل على «حيثيات» ، وما دامت ذرياتنا تأخذ عنا ميراث المجهولات قرناً بعد قرن ، وتسقط منه مجهولا بعد مجهول ، تدخله في رحاب المعلوم ...

الأمل في المستقبل هو عُدة حياة الفرد .

والأمل في المستقبل هو عُدة حياة الإنسانية ...

القانون واحد !

فلا يغرّنّك فيلسوف منحرف المزاج متشائم الطبع متمرد الروح ، آراءه المنحرفة المتشائمة المتمردة

الإنسانية جميعها ، ويحاولُ أن يحول مجرى تاريخها … فإنه لن يظفر بطائل من أبناء الحياة الذين يعرفون وجه أمهم وأنبع القسمات ، وينكرون وجه كل متمرد عليها من المتكلمين ولو سحروا ببيانه إلى حين .

ولكن مع ذلك من المعجبين بأبي العلاء ، المعتقدين بصدق توجهه إلى ما ذهب إليه ، ومن الملتمسين لتضارب أقواله وشذوذ بعض آرائه أعذاراً من إلحاح الألم وضيق النفس بالحبس المضاعف ، وطول الأجل بلا أمل أو عمل يشغل الجوارح ، وانعدام اللذات المروِّحات عن القلب آلامه ، من الترفع عن اللهو المباح الذى يستعان به على عنت الأيام وجِدّ الحياة .

ومن رأيي أن المعرى بعد ارتهان نفسه لدى الحبس الاختيارى وهو المنزل ، قد منع عن نفسه موردا عظيما من موارد السلوى والتلهى عن إدمان الفكر فى المسائل الكبرى التى تتصل بالغيب ، ولا يقين فيها عن طريق الفكر ، فصار بعيدا عن تفاهات الحياة التى لا تكد الذهن وعن أضاحيك الغافلين ، وعن بساطة المعتدلين الذين لا يتعمقون أسرار الحياة ، ولا يطلبون ما وراء ظواهرها إلا طلبا يسيرا ، علماً منهم بأن وراء سطح كل أمر هوة قد يُرى فيها الحق ملتبساً بالباطل لبعد المسافة بين عقولهم وبين قرار تلك الهوة ، فلا يرون فيها حدود الأشياء واضحة مميزة .

فلزوم المعرى منزله وعزلته الموحشة خرج على الناس وحياتهم وصدهم من بُعد كأنه خَلْق آخر غريب عنهم ، وقد فقد قلبهُ حظ الفتنة وأدوات الإعجاب بهم ، وانكشفت له الحياة الاجتماعية سافرة .

وأضف إلى ذلك أنه قد فقد ما يجعل الناس يتمسكون بالحياة . فلا بصر ولا مال ولا شهوة جنسية ولا لذة جسدية ولا تنويع فى الطعام ، مع عزلة وسوداوية ، وذكاء نادر ، وثقافة رحبة ، ونقد لاذع ، وإحساس بالكمال ، وتقليب ذهن فى المذاهب والآراء … ففنيت بشاشة الحياة فى نفسه ولم يبق له منها إلا صورتها القاتمة وجوانبها المظلمة .

وإنى أتخيله وقد خلص إلى نفسه فى زواية مظلمة من زوايا بيته يستقبل زمانا كله ظلام وعنده من أخبار الفساد واضطراب الحال والظلم والرياء والداء فى عصره ما يجعله يوغل فى فراره واستيحاشه بالناس ، ويكتفى برصدهم من بعد كأنه ليس منهم ، وفى هذا كل سره .

وقد ترتب على خروجه من حدود الاجتماع أنه وضع عقله على كل شئ ، وكل شخص وكل لفظ . فوجد النقص والفساد يشمل الحياة جميعها ، فلم يستفت طبيعته ليعذرهم ويرحم ضعفهم ، إذ كان قد تحرر من الشعور بشعورهم والقياس بقياسهم .

فالأصل فيه أنه غريب عن الناس ، مفارق لوجودهم ، كأنه من نوع آخر لا يقدر ضروراتهم ونقصهم الغريزى ، وقد رأى الأديان والأشياء فى نطاق رؤيته للناس بهذا الوضع الذى وضع فيه نفسه . وما كان فى شعره من حديث التسامح والرضا عن الناس فى بعض الأحيان مرجعه إلى عودته إلى الاعتراف بالطبع الإنسانى ورحمته الضعف البشرى وفطرته الأصيلة المشتركة بينه وبين الناس .

ومن سخريات الحياة به أن العالم العربى يحتفل بذكرى « مولده » حين وافى ميعاده الألفى . مع أنه كان يعد ذلك الميلاد نكبة وجناية تلاحقت وراءها جنايات حتى يوم الممات …

فأيّما ردّ من الردود التى سيقت دحضا لمذهبه من التعطيل يعدل ذلك الرد الذى تنطق به الحياة الصارفة بين يدى ذكراه ؟ إنها أرغمته على أن يحيا حتى نَفَسِه الأخير . وهى الآن ترغم فكره وذكره أن يحييا من بعده غير مبالية بما فى فكره من تجديف وتمرد ، وما كان فى سلوكه من شرود وعصيان . إذ هى واثقة من سطوتها وسلطانها على النفوس ، ومن وثاقة حبال الشبكة التى تطرحها على الأجسام لتربطها بالأرض . فلا يضيرها أن أن يقول أمثال أبى العلاء وشوبنهاور ما يقولون ، فإن الناس سيعجبون بما يقولون ، ولكن لا يُقرّون ولا يفعلون .

عبد المنعم خلوف

من قصص الصين :

الغـــنى

للأديب الصيني الكبير « بـ — شار — كين »

في بلد من البلدان كان الآباء يعلمون أولادهم كلمات يروونها مبهمة ، والأولاد لا زالوا في مهادهم ، وكان الناس يمتدحون كل أب يستطيع تعليم أبنائه تلك الكلمات ، وأحب الأولاد تلك الكلمات حينا ولعوا كما أصيبوا بالرضاع والبكاء ، ولهذا كانوا يؤمنون بهما إيمانا وطيدا ويعملون بها ، وأصبحت منهم كالطعام حين يجوعون ، والشراب حين يصيبهم العطش . تلك الكلمات هي :

« أيها الأولاد ! اجتهدوا في العمل ، فإذا اجتهدتم أمكنكم أن تكسبوا نقودا كثيرة ، وتملأوا بها جيوبكم وصناديقكم وخزائنكم ، وتكونوا أغنى [illegible] في العالم وأعزهم الغنى ، له سلطان ، وله قوة . [illegible] الناس الغنى أيضا ؛ لأنه لا يعمل شيئا ولا يتعب . أيها الأولاد ! اتعبوا أولا ، تكونوا سعداء في الوقت الذي تصبحون فيه أغنياء » .

وهذه الحكاية لم ينس الآباء تعليمها لأولادهم حين يولدون ، ولم يول أبناؤهم عن سماع هذه الكلمات ، حتى كثر الأغنياء ، وظنوا بذلك أن آباءهم لم يخدعوا حين علموهم ، فهذا هو السلطان المرغوب والقوة بأيديهم حقا ! فهم إن أرادوا رفع أبنيتهم أو توسيع بيوتهم وجدوا العمال بلا مشقة يرفعون لهم ويوسعون ، وهم إذا حاولوا الانتقال وجدوا الحمالين يحملونهم والآلات تنقل أمتعتهم ، وهم دائما مستريحون ، وإذا طلبوا الأكل والملابس وجدوا ذلك بسهولة ، وهم مفضلون على الناس غاية التفضيل ، ومسرورون كل السرور ، لأنهم لهم إلا الضحك والقهقهة ودائما في عيشة سعيدة

ونظر إليهم غيرهم نظرة طموحة ، وأخذوا يفكرون ويقولون :

« ما أشرف الأغنياء ، وما أسعدهم ! يجب علينا أن نجتهد في العمل أكثر مما كانوا يجتهدون ، لنصل إلى مكانتهم » . واجتهدوا كل الاجتهاد لأنه الوسيلة الوحيدة التي يصلون بها إلى الغنى .

ثم بدأ الأغنياء يكثرون ، وشرع الذي لم يصل إلى مكانتهم يزيد في الاجتهاد ويحمل الأعباء في كل شيء ، كالزراعة والصناعة وغيرهما من الأعمال الشاقة ، وفي هذا الوقت ارتفعت أغاني الخاحيات ، وجاد الأغنياء ، فحصل الفقراء على النقود بسهولة ، ووصلوا إلى مكانة الأغنياء بسرعة . واجتمع الأغنياء يتصادقون ويتضاحكون وحيا [illegible] ، ويرقصون ويشربون حتى يبلغ بهم الفرح حد الجنون ، وزاد السكر حتى طغى على عقولهم فأخذوا يرتلون [illegible]

[illegible] هذا اليوم

[illegible]

وجنة عدن » .

وقل الفقراء في البلد شيئا فشيئا ، وزاد الأغنياء كل يوم ، وكان يشجع هؤلاء الفقراء القليلين على العمل ما رأوه من أفراح الأغنياء ، وتقلبهم في ذلك النعيم ، وتأكدوا أنهم لابد سيصيرون أغنياء ، وأن الغنى سوف يأتيهم بعد يوم أو يومين ، فاشتغلوا كثيرا ، وتعبوا الليل نهار ، لأن هذا التعب تعب أخير ، وستأتي بعده حياة سعيدة . ومن ذا الذي لا يصبر على هذا التعب الأخير في سبيل تلك الحياة السعيدة ؟

وذهب مُعدّن إلى جبل فاتفق أن وجد فيه معدن الذهب بكمية ضخمة في مساحة تبلغ مئات الأفدنة وعمق يصل إلى مئات الأمتار ، ففرح المعدّن فرحا شديداً وقال في نفسه : « ما أجمل هذا الذهب الذي رأيته الآن وجعلني غنيا في الحال ! » ثم رجع إلى بيته وجمع أهله — كبارا

وصغارا — فحمل الكبير صندوقا كبيرا ، وأخذ الصغير سلة صغيرة ، ثم ذهبوا إلى الجبل يحفرون عن المعدن ، ويجمعون الذهب حتى أسدل الليل ستاره ، وتعبوا غاية التعب ، فحسب المدنّ أن الذهب الذى جمعه هو وأهله أكثر من الذهب الذى عند أغنى الأغنياء فى البلد وقال فى نفسه : « لقد أصبحت الآن أكبر الأغنياء فى البلد وسأعيش عيشة سعيدة ، وما أكثر الفرح اليوم ! » .
ورجع مع أهله إلى البيت .

فلما علم زملاؤه — الفقراء الباقون — هذا الخبر وعرفوا أنهم سيجدون ذهبا كثيرا بطريق سهل ، ويصيرون أغنياء فى الحال ، تركوا أعمالهم الشاقة ، وذهبوا جميعا — كبارا وصغارا — إلى الجبل ، وحفروا من المعدن وجمعوا الذهب حتى تعبوا جدا وظن كل منهم أن الذهب الذى عنده أكثر من ذهب أكبر الأغنياء فى البلد ، فيقول فى نفسه : « لقد أصبحت الآن أكبر الأغنياء » ورجعوا إلى بيوتهم .

والآن لا يوجد فى ذلك البلد أحد ليس عنده ذهب كثير ولم يقتنع به ومع ذلك فالذهب الذى بالجبل لم ينقص شيئا مذكورا ولم يؤخذ منه إلا بمقدار اثنين أو ثلاثة من عشرة .

وأصبح كل واحد فى ذلك البلد غنيا وصاحب ذهب كثير ؛ ما أسعد هذا البلد ! ولكن حدث حادث عجيب لم يتوقعه أحد من قبل : فإن الأغنياء الجدد تركوا أعمالهم الشاقة بالطبع وأخذوا يفكرون فى أموالهم الكثيرة : كيف يتمتعون بها وكيف يصنعون الملابس الجميلة وكيف يبنون العمارات الفخمة إذ يجب عليهم أن يظهروا أمام الناس بمظهر الأغنياء ، فأخذوا أكياسهم التى ملؤوها بالذهب واتجهوا إلى شركة الملابس — بعد أن كانوا لا يمكنهم أن يدخلوا هذه الشركة إلا أن يطوفوا وينظروا من الخارج ولكنهم اليوم سيدخلونها مستكبرين ومختارين

وسيشترون منها الملابس الجميلة والفساتين الفاخرة — ولكنهم لما وصلوا إلى الشركة وجدوها مغلقة وذهبوا إلى الثانية والثالثة والرابعة و . . . فكانت كلها مغلقة ؛ وذلك لأن أصحاب شركات الملابس كلهم أصبحوا أغنياء أيضا والملابس التى كانت عندهم وزعوها على أهلهم ولبسوا منها ولهذا أغلقوا أبواب شركاتهم وركبوا السيارات يرتادون السينما والملاهى .

وبعد أن خاب أمل هؤلاء المشترين فى شراء الملابس من الشركات قال بعضهم لبعض : « إن كل شركات الملابس مغلقة ولن تبيع أبدا إذن ، فلنذهب إلى مصانع الغزل والنسيج ونشترى منها الأقمشة الجميلة والحرير الجيد ونأتى بالخياطين يخيطون لنا الملابس ليلا ونهارا ونلبسها » ، فذهبوا إلى المصانع سريعا ، ولكنهم ما كادوا يصلون حتى وجدوها مغلقة ولم ينالوا بغيتهم ولم يجدوا فيها أحدا من العمال ، وأما أصوات آلات الغزل والنسيج لم يسمعوا شيئا من ذلك ووجدوا مداخن المصانع التى كانت ترى الدخان من فوهاتها إلى السماء ، فيحجبها لا يظهر منها شئ ، وقد كف الدخان وصمتت عن إرساله إلى السماء ، والعصافير الصغيرة تمشى وترقص عليها ، فلا حول لهم ولا قوة إلا أن يذهبوا إلى الخياطين يستشيرونهم ويطلبون منهم أن يفكروا معهم كيف يأتون بالأقمشة كى يخيطوا لهم الملابس الجميلة وأغروهم بالنقود الكثيرة أجرا لهم على عملهم ذلك ؛ فضحك الخياطون قائلين :

نحن الآن مثلكم أصبحنا أغنياء ، ونبحث من الخياطين كى يخيطوا لنا الملابس الجديدة وأما النقود فمن يحتاج إليها ؟ وعندنا ذهب كثير لا يحصى ولا يعد ! » .

وحينئذ تأكدوا أنهم لن يستطيعوا لبس الملابس الجديدة فحزنوا حزنا شديدا لأنهم أغنياء ولا يمكنهم أن يظهروا بمظهر الأغنياء ؛ ولكن لما رأوا الذهب الأصفر الذى ملأ جيوبهم وصناديقهم ومخازنهم وغرهم بريقه فرحوا

وعزوا أنفسهم قائلين :

« على كل حال عندنا ذهب كثير ونحن الآن أغنياء وإن لم نستطع لبس الملابس الجديدة » .

وهناك أمر خطير جلل وجوه الأغنياء الباسمة بحزن ، ذلك أن الغلال والأطعمة عندهم نفدت ولابد أن يشتروها لكي يسدوا جوعهم ، فذهبوا ومعهم الذهب إلى محل الغلال ، فوجدوا غلال أول محل قد نفدت وأراد صاحبه أن يشتريها أيضا ، ثم ذهبوا معه إلى محل آخر ووجدوه كالأول — نفدت غلاله أيضا ، وذهبوا إلى ثالث ورابع ... ولم يروا أي محل مفتوحاً ، وطافوا بالبلد كله يحملون الأكياس التي ملؤها بالذهب ولثقلها تنزل العرق من جبينهم إذ تعبوا تعباً شديداً .

فقال أحد عقلائهم : « إذا كنا لم نجد الغلال في المحلات فلنذهب إلى القرى ونشتريها من الفلاحين ! » أيقظهم هذا الكلام ، فقالوا جميعا : « نعم لنذهب إلى القرى فإن الغلال والحبوب لا تنبت من المحلات والدكاكين وإنما تنبت من الأرض والحقول ، وإذا ذهبنا إلى القرى وجدناها عند الفلاحين حتما ، هيا بنا ! هيا بنا ! » .

ومشوا في الأرض مرهقين صائحين معتقدين أنهم إذا وصلوا إلى الفلاحين وجدوا الغلال في الحال ، ثم ذهبوا إلى قرية وقابلوا الفلاحين هناك وقالوا لهم : « فلاحونا الأعزاء ! نريد أن نشتري منكم الغلال ، وسنعطيكم ذهباً كثيراً ، قولوا ! قولوا ! كم من الذهب تريدون ! » .

وضحك الفلاحون وهزوا رؤوسهم قائلين :

« إننا مثلكم أصبحنا أغنياء ، ولسنا فلاحين وعندنا ذهب لا يعد ولا يحصى ونريد أن نشتري الغلال أيضا » .

فذهبوا مع هؤلاء الفلاحين إلى قرية أخرى ولم يجدوا قليلا من الغلال أيضا ، ومشوا في كل قرية يبحثون عن الفلاحين كأنهم يبحثون عن اللؤلؤ في الرمال ولكنهم لم ينالوا طلبتهم .

ثم أيقنوا أنهم لن يجدوا الغلال فذهبوا إلى الحقول ليأخذوا قليلا من الذرة أو البطاطة يسدون بها جوعهم وتفرقوا فيها مسرعين يبحثون . وكانت تزرع في الحقول أشجار الذرة والبطاطة وتغل غلة كثيرة جدا ، ولكن لما أصبح الفلاحون أغنياء ويعيشون عيشة المترفين لم يسقوا الأرض ولم يصلحوها فلم تنبت الأشجار وأكلت الدود الذرة والبطاطة ، واستحالت هذه الحقول الواسعة إلى صحراء قاحلة لم يجدوا شيئا فيها يسد جوعهم ، فحزنوا حزناً شديداً ونزلت من أعينهم الدموع كالأمطار ولكن لما نظروا الذهب اللامع في أيديهم جففوا الدموع وتكلفوا الضحك وتمازوا قائلين :

« وعلى كل حال أصبحنا أغنياء وإن لم نجد الغلال والأطعمة وجاعت بطوننا ! »

جاع الأغنياء كلهم جوعا شديدا فنهكت قواهم وخروا صرعى مرتمين في الحقول هنا وهناك وتحت رؤوسهم أكياس الذهب وفي أيديهم قطع صغيرة منه ويريدون أن يأتوا بها إلى أفواههم ليأكلوها ولكن لا يستطيعون حراكا ، وخرجت من أفواههم أصوات خفيفة كأصوات البعوض — يقولون كلمات آلامهم :

« اتعبوا أولا تكونوا سعداء في الوقت الذي تصبحون فيه أغنياء ! » . ترجمة : عبد الله ما — صيني — كو

صحيفة النقد :

تلاقى الأكفاء : على أدهم

الأستاذ على أدهم من كتابنا القلائل الذين يحتفلون بما يكتبون ، ويتهيئون له ، ويتحرجون من النقص الناقص والحكم المرتجل ، ويدققون فيما يأخذون وما يدعون .

وطبيعة الأبحاث التى يتجه إليها — وهى فى الغالب التحقيقات التاريخية والاجتماعية ، والبحوث الفلسفية والفكرية — تجعل لهذه الخصائص قيمة خاصة ، فهى فى حاجة ماسة إليها ، ليطمئن إليها القارىء ، ويشعر لها بالثقة الواجبة .

وقد أنشأ الأستاذ على أدهم حول هذه الاتجاهات عشرات من المقالات نشرت فى شتى الصحف والمجلات ؛ وثلاثة كتب : صقر قريش (هدية المقتطف عام ١٩٣٨) ، والمذاهب السياسية المعاصرة (فى [illegible]) و تلاقى الأكفاء ، فى هذا العام [1] .

وفى هذه الكتب والمقالات تتجلى تلك الخصائص التى ذكرناها آنفا ، كما تتجلى خصائص أخرى ، من الخبرة بالنفس الإنسانية ، والفطنة إلى دوافع الحياة الأصيلة ، والاستعداد لتلقى النماذج البشرية كما خرجت من يد الطبيعة .

ولقد كان من حق هذه المزايا مجتمعة أن تنال من الإقبال والاحتفال أكثر مما لاقت حتى الآن ، فالأستاذ أدهم بالقياس إلى جهده مغموط مغمور . ولقد دفعتنى هذه الظاهرة إلى الفحص عن الأسباب الكامنة التى تعوق بعض ما كان من الحق أن يكون .

قد تكون طبيعة هذه البحوث والموضوعات التى يطرقها الأستاذ أدهم من الدقة والدسامة بحيث لا يحسن استقبالها إلا أولئك الذين تؤهلهم ثقافتهم وطبيعة اتجاههم لمثل هذه البحوث .

ولكننى ألمس هنا هنا سببا آخر . ذلك أن ملكة الاختيار والتنسيق فى هذه الدراسات لا تبرز كما تبرز ملكة الفحص والتقصى . وأنها فى حاجة إلى مزيد من اللمسات القوية المباشرة التى تمتد توا إلى جوهر الموضوع وروحه ، وكأنها تهتدى إليه بالبداهة أو بحاسة خفية لا تشعر ولا تتلمس . بحيث لا يغرق الخبر الدال ، والحادثة المعبرة ، والكلمة الموحية فى أشتات من الأخبار والحوادث والكلمات الثانوية فى الموضوع ، فوق ما يزحم الحيز المحدود من مادة تكفى لأضعافه ، فحرص المؤلف على ذكر جميع الحقائق والوقائع أو أكبر عدد منها فى الحيز الذى عنده ، يكظ هذا الحيز ، ويحمل القارىء — فى بعض الأحيان — يصل مجهودا مكدودا إلى زبدة الموضوع ، وخلاصته المطلوبة .

وملافاة هذا لا تكلف المؤلف إلا أن يستغنى عن بعض الحوادث والوقائع الثانوية ، وأن يكتفى بالرئيسى منها ما دام الحيز لا يحتمل سواها ، وأن يعنى بإبراز هذه الرئيسيات ، [illegible] ويترك فراغ بين السطور يدع مجالا [illegible] القارىء ، تتاح شهى مشوق ، [illegible] خصائص المؤلف الطيبة التى تحدثنا عنها فى أول المقال .

ولسنا نعطى الأستاذ أدهم أكثر من حقه حين نقول : إن من خصائصه الاحتفال والتحرج والدقة ، وأن من مزاياه الخبرة بالنفس الإنسانية ، والفطنة إلى دوافع الحياة الأصيلة ، والاستعداد لتلقى النماذج البشرية كما خرجت من يد الطبيعة . كما أننا لا نسلبه شيئا من حقه حين نقول : إن ملكة الاختيار والتنسيق لا تبرز عنده بروز ملكة الفحص والتقصى ، وأن اللمسات القوية المباشرة قليلة نسبياً فى دراساته .

فأما الاحتفال والتحرج والدقة فخصائص عامة شائعة فى جميع فصوله والاستشهاد عليها يزحم فراغ هذا المقال ، فيستطيع القارىء أن يقرأ عنها هنا وأن يحققها هناك !

وأما الفطنة لدوافع الحياة والخبرة بالنفس الإنسانية ، والاستعداد لتلقى النماذج البشرية ، فيجد خيوطا منها واضحة فيما ننقله إليه من فقرات .

(١) وأخيراً كتاب المنصور بن أبى عامر ولم نقرأه بعد .

وتقرأ في مقدمة كتابه « تلاقي الأكفاء » قوله :

« فصول هذا الكتاب لمحات تاريخية — أرجو أن تكون كاشفة موحية ، وصور جلية لبعض الملية النادرين من رجال الأقدار وأفذاذ التاريخ ، الذين جازوا بهذه الحياة — وادي العبرات كما سماها بعض القدماء — متغلبين على صعابها ، مستعلين على ضروراتها ، وتبوءوا من التاريخ موضعاً ملحوظاً ، واستأثروا منه بصفحات حافلات . ولم يكن همي أن أستقصي جملة أخبارهم ، وأستوعب شتى أحوالهم ومنازعهم ، وإنما حاولت أن أجلو طرائف شخصياتهم بطريقتين : إحداهما أن أتخير بعض المواقف الحاسمة البارزة في حياتهم ، وطائفة من الحوادث المبينة التي ابتلتهم ، وأظهرت مدخر قوتهم ، وكامن ملكاتهم . والطريقة الثانية : توضيح أثر احتكاكهم بشخصيات أخرى تماثلهم في الاقتدار والفحولة ، وتساميهم في الإنافة والسموق ، وتخالفهم في طبيعة الملكات والمواهب ، ولون المزاج ، وطريقة فهم الحياة ، والنظر إلى الكون .

« وإذا صح أن الأشياء تتميز بأضدادها فإني أرجح أننا نعلم أشياء كثيرة قيمة عن نابليون بتأمل علاقته برجل مثل تاليران ، ونفهم جوانب هامة من شخصية لينين بدراسة صلاته بمكسيم جوركي . ولعل موقف فردريك من فولتير عدنا بمعلومات نفيسة عن نفسه وأخلاقه ، ويكشف لنا عن أساليب فردريك في السياسة وأفانينه في الدهاء . ولعلنا نفهم المنصور فهماً أدق وأوفى إذا ألممنا بموقفه حيال أبي مسلم من ناحية ، وبموقفه إزاء عمه عبد الله بن علي — بطل واقعة الزاب — من ناحية أخرى » .

والفكرة كما نرى جيدة في اختيار مواقف هؤلاء العظماء حيال عظماء آخرين من لون آخر ، ومراقبة التفاعل الذي يكشف من حقيقة عناصرهم في اللحظات الحاسمة ، وهي قائمة على الفطنة إلى النماذج البشرية ، وعلى كشف دخائل النفس الإنسانية .

على أن ما يهمنا هو تلك اللفتة القيمة التي جاءت في سياق هذه المقدمة حين يقول :

« ولست من الذين يبغون من التاريخ استخراج العبر والمثلات ، أو يلتمسون فيه مضرب المثل وموضع القدوة ، والانتفاع بعبر التاريخ في رأيي من الأمور المشكوك فيها ، واتخاذ العظماء قدوة من الأمور السلبية ، ولا يمكن القزم أن يكون عظيماً بمجرد اطلاعه على سيرة العظماء ، ومحاولة محاكاتهم ، وربما يصور له الوهم أنه أصبح عظيماً ، ولكن الناس سيرون منه غير ذلك » .

« وخير للإنسان أن ينمي ملكاته في الحدود المقسومة لها من أن يحاول صياغتها على مثال خارجي ، وصبها في قالب غير القالب الذي فرضته عليه طبيعته . وإنما أحاول أن أستعين بالتاريخ والتراجم على توسيع آفاق النفس ، والاستكثار من التجارب ، وفهم حقائق الكون وأسرار الحياة . واستجلاء غوامض الحياة لا يلتمس في أغوار البحار وحدها ، ولا في خوافق السماء ، وخفايا الأرض ، وإنما في نفس الإنسان » . ومن ثم أهمية التراجم في الأدب الحديث ، لأنها تتناول صميم الحياة ولبابها ، وتعرض صور النفس الإنسانية ، وتروي قصة أشواقها وشجونها ومساءلاتها ومسراتها ، وأجل موضوع لدراسة الإنسان هو الإنسان نفسه ، وما أصدق الشاعر الحكيم :

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر »

في هذه الفقرات خيوط من خبرة المؤلف بالنفس الإنسانية ، وحسن فهمه لأصالة النماذج البشرية ، ولمخالفته الأفكار الشائعة عن مزايا الدراسات التاريخية ، مع بيان مزيتها الكبرى ، وهي عرض هذه النماذج وتوسيع آفاق الحياة بها .

على أننا نميل إلى إثبات فائدة لهذه الدراسات ، وهي أن الفرد الإنساني كثيراً ما تقدح كوامن نفسه جملة أو فكرة أو نموذج بشري ، فتكشف عن قوة في نفسه مجهولة له ، وتوجهها وجهة خاصة . ولعل هذه الظاهرة هي التي حدت بعض الناس إلى القول بأن في التاريخ عبرة ينتفع بها !

ذلك ما للأستاذ أدهم . أما الذي عليه ، من ناحية

السمات الباشرة القوية ، فمسألة شائعة تدرك في مجموع الفصول دون الأجزاء التي يستطاع نقلها في مقال .

ولتقريب ما نريده نضرب مثلا بطريقتين في التصوير :

إحداهما تلك الخطوط السريعة الخاصة في إبراز معالم الوجه . والثانية تلك الدقة في رسم جزئيات الوجه حتى تبرز ملامحه . وكلتاهما طريقة معترف بها لكنني أنا أوثر الأولى على الثانية لبساطتها وروعتها .

***

وبعد ، فإن من حق قراء الأستاذ أدهم أن نبصرهم بأمر آخر ليكونوا على بينة منه في الطريق

إنهم سيجدون في أحيان قليلة نادرة لهجة متوعرة وألفاظا متخشنة ، فلا عليهم من ذلك ! إنما الرجل قارئ مطلع على الأدب العربي القديم ، والكتب التاريخية العربية ، ولهذا تخونه حافظته ، فتدفق بعض التعبيرات وبعض الكلمات من ذلك الرصيد المخزون ... ولكن ... ذلك ما يغتفرونه حين يعثرون به بين الحين والحين !

ولا يفوتنا أن نشير في النهاية إلى فصل « نابليون وتصادم عبقريتين » في كتاب « تلاقي الأكفاء » على أنهما خير فصول الكتاب وأكثرها طلاقة ، وأعلاها نبضا ، وأشدها حرارة . لقلة التفصيلات ، ووضوح السمات . وهو دليل على أن ما طلبناه من المؤلف داخل في طوقه وليس عليه بغريب ، وأن مهمتنا هنا هي استثارة مقدرته ليستخدم أفضل أدواته !

سيد قطب

الغدير

هل شهدت الغدير في خطراته؟ فشمتك الأنغام من قطراته
ورأيت الأمواج تجرى خفافا كأغان تفجرت من لهاته !
ولمحت الطيور تهفو حواليـ ـه وتسعى لرشفة من فراته !
وهو ينساب في الخميل ويمضي عابثاً لاهياً إلى غاياته !
كلما مسه الصبا هز عطفاً وتجلى الدلال في خطواته!
وشدت حوله البلابل لحناً نبه الورد من عميق سباته!
... إنه ساحر أتى ساحة الرو ض ليحيي بمائه زهراته !
... إنه شاعر ترنم بالحـ ـب ففاض الحنين من صدحاته
إنه راهب مزاميره الطـ ـهر ، وهذا الخرير بعض صلاته
إنه عاشق سقته الروابي فقضى في الهوى ربيع حياته
[illegible] ذكرتني أيا ماضيّ تحنّ روحي إلى لحظاته
حين كنا على ضفافك نلهو في ابتسام الصبا وفي ضحكاته
ونغني على الربا نشيداً من حنايا الفؤاد ومن خفقاته
[illegible] العمر يا غدير خبر عن ليالي الهوى ومن فاتناته
إن أيامه تولت ... ولم يبـ ـق لقلبي منها سوى آهاته!
أيها الغدير حدث عن الأيـ ـك وعن ورقه وعن أفنانه؟
وارو ما شئت يا طروب عن الأ ـر وعن حسنه وعن بسماته!
وتحدث إلى الورود عن الفجـ ـر وعن طله ، وعن نسماته!
... تلك دنياك أبدع الله فيها صور الحسن رائعاً في سماته !
ليت لي مثلها ، لرددت لحناً يسكر الكون من صدى نغماته!

الاسكندرية فؤاد كامل

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — شارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين — مصر